الجمـهورية الجزائريـة الديمقراطيـة الشعبيـة
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جـامعة الشهيد حمه لخضر الـوادي

كلية: الآداب و اللغات
قسم: اللغة والأدب العربي

جماليـات المكـان السردي فـي روايـة " فـي قلبي أنثى عبريّـة" لـ : خولة حمدي

مذكـرة تخـرج مقدمـة لنيـل شهـادة المـاسـتر في الأدب العربي

تخصص: أدب عربي حديث و معاصر

- إعداد الطالبتين:
✍ سارة غمام جريدي
✍ يمينة بركة

إشراف الدكتور :
✍ علي بن العربي كرباع

الموسم الجامعي: ١٤٣٩/١٤٤٠هـ * ٢٠١٨/٢٠١٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِكَ الَذِي خَلَقَ(1) خَلَقَ الإِنسان مِنْ عَلَقٍ(2) اقْرَاْ وَرَبُّكَ الَاكْرَمٌ(3) الذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ(4) عَلَّمَ اَلِانسَانَ مَالَمْ يَعْلَمْ(5) ﴾.

سورة العلق من1إلى 5

شكر وعرفان

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك.

"الله عزّوجل"

وبعد توفيق منه نقدم الشكر إلى الوالدين الكريمين اللذين لولاهما لما وصلنا لهذا.

إلى من وقف بجانبنا ووجّهنا و قدم لنا يد العون الدكتور الفاضل" علي بن العربي كرباع ". نسأل المولى عزّوجل أن يجازيه خير الجزاء.

والشكر موصول إلى أعضاء اللجنة المناقشة، جزاهم الله خيراً عنّا.

إلى كل من دعمنا من قريب أو بعيد في انجاز هذا العمل، و كل من كان سببا في أن نستكمل مشوارنا العلمي والعملي بتفوق ونجاح فلهم منّا فائق الشكر والتقدير.

الإهــداء

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

نهدي هذا البحث إلى كل من علمنا ولو حرفاً.

راجينا من المولى عز وجلّ أن يجد القبول والنجاح.

يمينة بركة سارة غمام جريدي

مقـــدمـــة

تعد الرواية من أكثر الأجناس الأدبية ارتباطاً بالحياة الإنسانية، فهي تعد مرآة عاكسة للمجتمع الذي تتفاعل فيه الشخصيات مع الأحداث، والمحيط الذي تعيش فيه، إذ نجد لها اهتماما واسعاً لدى الدارسين والقرّاء على حد سواء،لأنها تعالج قضايا الإنسان المختلفة (الاجتماعية، السياسية، الاقتصادية، والثقافية...الخ).

والحديث عن المكان، يؤكد لنا وجود علاقة بينه وبين الشخصيات التي تتحرك فيه، وتتعايش في داخله وتؤثر فيه وتتأثر به، وباعتباره ركيزة أساسية في النص السردي. ورغم اهتمام الدارسين بعناصر السرد الأخرى، إلا أنهم أولوا أهمية للعنصر المكاني، لأن المكان في النص الروائي والأدبي ليس حيزاً جغرافياً فحسب، بل هو عنصر فاعلي ذو حظّ كبير في الحياة البشرية، وله قدرة كبيرة على جعل الشخص متأثراً به أكثر فأكثر. فالمكانية تتصل بجوهر العمل الفني.

وتعتبر رواية " في قلبي أنثى عبرية" للكاتبة" خولة حمدي" من الروايات التي تعددّت فيها الأماكن، واكتسبت خصوصيّة فنّية، فحاولنا من خلال هذا البحث، الوقوف على جمالية المكان في هذه الرواية، وعلاقتها بعناصر الرواية من شخصيات وزمان و آليات السرد الأخرى.

وتتمثل أهمية هذا الموضوع، في كون المكان أصبح مبحثاً نقدياً ومكوناً روائياً هاماً ، فمن خلاله يضمن المؤلف لروايته خصوصية وجمالية، ويكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة ودلالة خاصة، فالمكان يعد المسرح الذي تجري فيه الأحداث وتتحرك فيه الشخصيات.

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع هو محاولة دراسة البعد الجمالي للمكان الروائي باعتباره أحد أهم العناصر السردية الروائية، وكذا محاولة اكتشاف عالم الروائية من لغة وفن في الرواية، وما يتعلق بصفة خاصة بالمكان، وذلك أن هذا الأخير في الرواية يعد الأساس في بناء مكاني جمالي، ومحاولة التعرف أكثر عن الكاتبة وإبداعاتها الروائية.

وقد اعتمدنا في دراستنا على إشكالية رئيسية كانت كالآتي:

_ ما هي الأبعاد الجمالية للأمكنة في رواية في " قلبي أنثى عبرية" للكاتبة خولة حمدي؟

وتتفرع من هذه الإشكالية جملة من الأسئلة الفرعية والتي كانت كالتالي:

_ ما معنى الجمال والجمالية؟

_ وما هي حدود كل من المكان والحيز والفضاء؟

_ وما هي أنواع المكان الروائي؟

_ وفيما تمثلت أهميته؟

_ وما هي الدلالات الناتجة عن تعدد الأمكنة في الرواية؟

_ ما طبيعة العلاقة الرابطة بين المكان ومكونات السرد الأخرى؟

انطلاقا من الإشكال المطروح، اتبعنا في بحثنا على خطة تضم: مقدمة وتمهيد وفصل نظري وآخر تطبيقي بالإضافة إلى ملحق وخاتمة كانت تضم أهم النتائج. فالمقدمة كانت بمثابة التعريف بالموضوع الذي أخذناه بالدراسة، وتمهيد تحدثنا فيه عن معنى الجمال والجمالية، وفصل نظري عنوناه بالمكان وإشكالية المصطلح، أولا: تحدثنا فيه المكان، وكذا الفضاء، والحيز، وثانيا: تطرقنا فيه إلى أنواع المكان وأهميته في السرد الروائي.

أما الفصل التطبيقي عنوناه بالبعد الجمالي للمكان وعلاقته بعناصر السرد في الرواية، إذ قدمنا دراسة تطبيقية لرواية " في قلبي أنثى عبرية " تناولنا أولا: أنواع الأمكنة في الرواية(العامة كالمدينة والقرية...الخ)،(الخاصة كالبيت والغرفة...الخ). أما ثانيا: درسنا فيه المكان وعلاقته بالعناصر السردية في الرواية، علاقته بكل من الزمان الروائي، والشخصية الروائية والوصف. وملحق تطرقنا فيه للتعريف بكاتبة الرواية و أهم مؤلفاتها و ملخص عن الرواية. وخاتمة ختمنا بها بحثنا كانت حوصلة لمجموع النتائج التي تحصلنا عليها.

وقد اعتمدنا في دراستنا على المنهج الوصفي بالإضافة إلى المنهج التحليلي،لأننا وجدناه الأنسب لمثل هذه الدراسة، إضافة إلى الاعتماد على مناهج سردية أخرى كالمنهج النفسي، ذلك لما تمليه طبيعة الموضوع، وكلما دعت الحاجة إلى ذلك.

كما اعتمدنا في هذا البحث على مجموعة من المصادر و المراجع نذكر منها:

_ في نظرية الرواية لعبد المالك مرتاض

_ في قلبي أنثى عبريّة للروائية خولة حمدي.

_ جماليات المكان لغاستون باشلار.

_ بنية النص السردي لحميد لحمداني.

_ بنية الشكل الروائي (الفضاء، الزمن، الشخصية) لحسن بحراوي.

ومن المجلات التي تناولت هذا البحث نذكر:

_ الفضاء في روايات عبد الله عيسى سلامة، لصلاح الدين بان محمد حمدي.

إضافة إلى العديد من المصادر والمراجع الأخرى.

وقد اعترضتنا مجموعة من الصعوبات التي واجهتنا في انجاز هذا البحث:

_ نظرا لقلة الدراسات لهذه الرواية المدروسة، بالإضافة إلى ضيق الوقت إلا أن البحث قد تم بإذن الله.

وفي الأخير لا يسعنا إلا أن نشكر كل من ساهم في تقديم يد المساعدة من قريب أو بعيد، ونخص بالذكر الأستاذ الفاضل ومشرفنا "**علي بن العربي كرباع**"، الذي وجّهنا وأمدنا بنصائح قيّمة، فله منا فائق التقدير والاحترام. وفي الأخير نسأل الله التوفيق و الرضا والسداد في الخطّى والتنوير في الدّجى، إنه ولي ذلك والقادر عليه وحدهٌ.

تمهيد

الجمال والجمالية

ارتبط الجمال بمجالات عدة في حياة الإنسان كما اعتبر الجمال مقياساً صادقاً لمفاهيم كثيرة في ميادين الحياة البشرية.

مصطلح الجمال أو الجمالية ترجمة لكلمة "استطيقا" وترجع هذه اللفظة إلى عهد اليونان، فكان المقصود بها" الإحساس أو العلم المتعلق بالإحساسات"[١] وهي كلمة ولدت في رحم الفلسفة الغربية خلال القرن الثامن عشر ميلادي، على يد الفيلسوف ألكسندر باومجارتين سنة ١٧٥٠م، وهو أول من استعمل هذا اللفظ ثم انتقل استعمالها إلى سائر الثقافات والعلوم الإنسانية كالآداب والفن."[٢] وكان يقصد باومجارتين بالجمالية هي كل ما يتعلق ويخضع إلى ما هو حسي ملموس، أي عندما نعرف قيمة الشيء يتم ذلك من خلال الإحساس واللمس، فالشخص يستطيع إدراك الجمال عن طريق ما هو ملموس.

أما الجمالية عند الأنصاري فهي"علم يبحث في معنى الجمال من حيث مفهومه وماهيته ومقاصده، والجمالية في الشيء تعنى أن الجمال فيه حقيقة جوهرية وغاية مقصديه، فما وجد إلا ليكون جميلا، وعلى هذا المعنى انبتت سائر الفنون الجميلة بشتى أشكالها التعبيرية والتشكيلة"[٣].

ويرى أبو حيان التوحيدي"أن صفات الله تعالى و أفعاله هي المثل الأعلى في الحسن، و أن الأشياء كلها تستمد جمالها من تلك الصفات والأفعال، لأنها من الحسن في غاية لا يجوز أن يكون فيها وفي درجتها شيء من المستحسنات لأنها هي سبب حسن كل حسن، وهي تفيض الحسن على غيرها، فجمال الإلهي مصدر الجمال الكلي"[٤].

---

(١) سعاد مشلق، جماليات المكان في رواية "رحمة" ل: نجاة مزهود، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية، تحت إشراف: رضا معرف، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ٢٠١٥/٢٠١٦م، ص٥.

(٢) فريد الأنصاري: مفهوم الجمالية بين الإسلام و الفلسفة الغربية، new.knowingallah.com.11/07/2018 18:20.

(٣) نفسه.

(٤) جميل علي السورجي، مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، (د.ب)، العدد٢٠، ٢٠١٢، ص ١٣.

وقد شغل هذا المفهوم المختصين بدراسته و الاهتمام به على مر العصور، وأكثر من اهتم به الفلاسفة ، فالجمال عندهم" صفة للأشياء تبعث في النفس السرور والرضا والقبول، ومن بين هؤلاء الفلاسفة نجد سقراط رأى أن الجمال" يحقق النفع أو الغاية الأخلاقية العليا"[١]، حيث ذهب إلى أن" معايير الجمال موضوعية، وليست ذاتية والجمال الحقيقي عنده هو الجمال الباطن أو جمال النفس"[٢].

أما كانط فقد" كانت فكرته قاسية فالجمال المحض لا يتمثل سوى في شكل المحض ويتجلى الجمال المحض عنده في الأشكال التي يختفي منها كل مضمون، كالنقوش والزخارف و الزينة في شكل الأوراق التي لا معنى لها في نفسها، وعنده أن الجمال قد يختلط بما هو لذيذ حسياً"[٣].

كما أن الجمال نسبي متغير غير ثابت:" تنْجم عن القيم الجمالية ذاتية نسبية إلى الأشخاص، فما يراه الواحد جميلا قد الآخر قبيحًا، ومن شأن هذا أن يؤدي إلى الشك في قيمة الجمال"[٤]. وهذا يعني أن الجمال متغير من شخص إلى آخر.

وتفيد الجمالية بمعناها الواسع "محبة الجمال"[٥]، فهي تهتم في دلالتها الواسعة،" بكل ما يتعلق بالإستيطيقا، أي بالمحسوس الذي تدخل معه في علاقة بواسطة الإدراك"[٦]، أي أن الجمالية تعني حب الجمال وذوقه، وهي تشمل في دلالتها الواسعة كل ما يتعلق بالجمال.

---

(١) حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان، عمان، ط١، ٢٠١٣، ص ٢٧.

(٢) محمد علي خوري، مدخل في نظرية الجمال في النقد العربي القديم، مجلة القسم العربي، باكستان، العدد ١٨،٢٠١١، ص ١٢٧.

(٣) محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار النهضة، القاهرة، (د.ط)،٢٠٠٤،ص ٢٨٧.

(٤) عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة ، لمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١، ج٢، ١٩٨٤، ص٦١٦.

(٥) رف.جونسن، الجمالية موسوعة المصطلح النقدي، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١،١٩٨٣، ص ٢٦٩.

(٦) رشيد التركي، الجماليات وسؤال المعنى، تر: إبراهيم العميري، دار المتوسطة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص ٢٥.

وبتعدّد الاتجاهات والرؤى، نرى أن الجمالية تُعنى بالبحث في علم الجمال وما يتولد عنه، فالجمال هو تناسب عناصر الشيء وظهوره في أبهى منظر، فالنص الذي لا يحمل قيمة جمالية، فمهما حمل من أفكار فلا قيمة له .

الفصل النظري

المكان وإشكاليّة المصطلح

أولا: ماهية المكان وتعدد دلالاته

١ _ المكان

٢ _ الفضاء

٣ _ الحيز

ثانيا: أنواع الأماكن وأهميتها في السرد الروائي

١ _ أنواع المكان

٢ _ أهمية المكان الروائي

يعد المكان عنصراً حكائيا مهما، تنهض به البنية السردية في تشكلها، إلا أن هذا الاهتمام، جعل من الباحثين يواجهون إشكالية أعاقت من دراستهم، وهي قضية تعدد المصطلح، المعادل للمكان وتداخله مع مصطلحات كثيرة أبرزها، مصطلحا(الفضاء والحيز).

أولا: ماهية المكان وتعدد دلالاته

١_ المكان

"حظيت هذه اللفظة باهتمام بالغ في ميدان اللغة العربية فذكرت معنى المكان واستعمالاته المتعددة نظراً لكثرة وروده في اللغة بناءًا على الحاجة الواسعة لاستعمالاته سعة الحياة التي تجذرت أغلب عناصرها في المكان ،وذكرت هذه المعاجم اللغوية بدلالات واضحة"(١).

و المكان ينطوي على جملة من المفاهيم من جانب اللغوي وهي :

١_ لغة: تنوعت وتعددت مفاهيم المكان من معجم لأخر، حيث جاء في لسان العرب لابن منظور : " المكان و المكانة واحدة ،التهذيب الليث :مكان في أصل تقدير الفعل مفعّل، لأنه موضع لكينونة الشيء فيه ،والمكان بمعنى الموضع و الجمع أمكنة كقذال

وأقذلةٍ وأماكن جمع الجمع،قال ثعلب: يبطل أن يكون مكان فعالاً لأن العرب تقول: كن مكانك، وقم مكانك ، واقعد مقعدك ،فقد دل هذا على أنه مصدر من كان أو موضع منه"(٢).

وورد في تاج العروس :"المكان بمعنى الموضع الحاوي للشيء وعند بعض المتكلمين أنه عرض وهو اجتماع جسمين حاوي ومحوي ،فالمكان عندهم هو المناسبة بين هذين الجسمين و ليس هذا بالمعروف في اللغة قاله الراغب جمع أمكنة و أمكنه و أماكن جمع الجمع ومما يستدرك عليه ضباب مكان بالكسر جمع المكون"(٣).

---

(١) حمادة تركي زعيتر،جماليات المكان في الشعر العباسي،ص٢٧.

(٢) ابو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور،لسان العرب، مادة (م.ك.ن)، دار صادر بيروت، ط١٩٩٠،١،مج١٣،ص٤١٤.

(٣) السيد محمد مرتضي الزبيدي: تاج العروس، دار الصادر، بيروت،(د. ط)،١٩٨٤، ص ص٣٤٨ ،٣٤٩.

وجاء في مصباح المنير :"مَكُنَ فلان عند السلطان مكانة وزان ضخم ضخامةً عَظُمَ عنده واتفع فهو مكين ، ومَكنَتْهُ من الشيء تمكيناً جَعَلْتُ له عليه سلطاناً وقدره فتمكن منه واسْتَمْكَنَ قَدَرَ عليه وله مكنه أي قوة وشدة وأمكنتة منه بالألف مثل مكنته"(١). وعرف في القاموس المحيط:" المكان بمعنى الموضع ،ج:أمكنة تحت مادة (م.ك. ن)،والمكانة بمعنى: التُّؤَدَةُ ، كالمكينة، و المنزلة عند الملك ، ومَكَّنَ، كَكَرُمَ، وتمكن فهو مكين جمع مكناء و مكنته من الشيء ، وأمكنتُه منه ، فَتَمَكُنَ واسْتَمْكَنَ"(٢).

"المكان الموضع الثابت المحسوس القابل للإدراك الحاوي للشيء المستقر ،وهو متنوع شكلاً وحجماً ومساحة ،إن الأمكنة شكل من أشكال الواقع انتقلت إلى الرواية وأصبحت مكوناً من مكوناتها"(٣).

وقد أشار القرآن الكريم في آيات عدة إلى أن لفظة المكان تدل أحياناً على الموضع أو المستقر ويظهر ذلك في قوله تعالى:" فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَاناً قَصِيّا"(٤).هنا بمعنى المكان الموضع وراء الجبل.

وقوله أيضا في سورة طه: " فَلَنَاتِيَنكَ بِسِحْرٍ مِثْلِه فَاجْعَلْ بَيْنَنَا و بَيْنَكَ مَوْعدًا لا نُخْلِفُه نَحْن ولا أَنْتَ مَكَاناً سِوىَ"(٥). فهنا المكان بمعنى وسطا مستويا.

وقوله أيضا:"واسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ المُنَادِ مِن مَكَانٍ قَرِيب "(٦)

٢_اصطلاحا: " يعد المكان مفتاحاً من مفاتيح إستراتيجية القراءة بالنسبة إلى الخطاب

---

(١) أحمد بن محمد بن علي الفيتومي المقري، المصباح المنير معجم عربي –عربي مادة (م.ك.ن)،مكتبة لبنان،بيروت،(د.ط)،١٩٨٧،ص٢٢١.

(٢) مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة ،مادة (كون)،ج٤، ١٩٩٩،ص١٥٥٠.

(٣) أيوب بن موسى الحسيني، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تر:عدنان درويش و محمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق،(د. ط)، ١٩٨، ج٢،٢٢٣ .

(٤) سورة مريم: الآية ٢١ص٣٠٦ .

(٥) سورة طه: الآية ٥٧ ،ص٣١٥.

(٦) سورة ق :الآية ٤١ ص٥٢٠.

النقدي، ويكتسب المكان في الرواية أهمية كبيرة و دلالة خاصة فهو ليس فقط مكاناً فنياً ناصر وليس فقط عنصر من عناصر الرواية، وإنما هو المكان الذي تجري فيه الحوادث وتتحرك فيه الشخصيات"[١] .

وقد أولى عدد من العلماء و الفلاسفة هذا المصطلح اهتمامهم منذ القدم إلى العصر الحديث ومن التعريفات نذكر منها:

مصطلح المكان هو: "المساحة التي تقع فيها الأحداث و التي تفصل الشخصيات بعضها عن بعض بالإضافة إلى المساحة التي تفصل بين القارئ وعالم الرواية لها دور أساسي في تشكيل النص الروائي"[٢].

كما أن المكان في الرواية :" ليس المكان الطبيعي، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكاناً خيالياً له مقوماته الخاصة وأبعاده المتميزة بالإضافة إلى التصور للمكان. بأنه حامل لمعنى ولحقيقة ملموسة،فإن ثمة ظاهرة أخرى لها أهمية كبيرة بالنسبة إلى تشكيل عالم الرواية وهي إضفاء البعد المكاني على الحقائق المجردة أي دور الصّورة في تشكيل الفكر البشري"[٣].

" كما يعكس البناء المكاني كل هذه الرموز و المنظورات الذهنية مع اختلاف أسلوب كل رواية في استخدام هذا الترابط الذهني بين المجرد و المكان"[٤]

ويضيف **حسن بحراوي** بقوله :" أن المكان في الرواية هو البؤرة الضرورية التي تدعم الحكي

(١) مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، (د.ط) ،٢٠١١، ص٢٦.

(٢) سيزا قاسم ، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ) ، مكتبة الأسرة ، القاهرة،(د. ط)،٢٠٠٤،ص ١٠٣.

(٣) نفسه، ص١٠٤.

(٤) نفسه، ص ١٠٥.

و تنهض به في كل عمل تخيلي"[١].و المقصود من هذا التعريف أن المكان هو أساس الحياة .

ويمكننا النظر إلى المكان بوصفه :"شبة من العلاقات و الرؤيات ووجهات النظر التي تتضامن مع بعضها لتشييد الفضاء الروائي الذي ستجري فيه الأحداث فالمكان يكون منظماً بنفس الدّقة التي نظمت بها العناصر الأخرى في الرواية "[٢]. لهذا فالمكان يعد أهم العناصر المكونة للرواية، ولا يمكن لأحد الاستغناء عنه، لأن ما تقوم به الشخصية من أحداث داخل الرواية لابد لها من مكان يجمعهم.

" فالمكان ليس عنصراً زائداً في الرواية، فهو يتخذ أشكالاً و يتضمن معاني جديدة بل إنه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله"[٣].

كما نجد **سعيد يقطين** عرف المكان بأنه" كل فعل يقوم به فاعل يجري في زمان، فإنه يقع في كذلك مكان بل إن مقولات الفعل والفاعل والزمان لا يمكنها أن تتحرك إلا في المكان الذي يستوعبها ويؤطرها"[٤].

و " المكان هو أحد العوامل الأساسية التي يقوم عليها الحدث"[٥]،و أيضا المكان هو الذي ينجذب نحوه الخيال لا يمكن أن يبقى مكانًا لا مباليًا، ذا أبعاد هندسية فحسب فهو مكان قد عاش فيه بشر ليس بشكل موضوعي فقط، بل بكل ما في الخيال من تحيز، إننا

---

(١) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء– الزمن– الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢،١٩٩٠، ص ٢٩.

(٢) نفسه، ص ٣٢.

(٣) نفسه، ص٣٣.

(٤) سعيد يقطين، قال الراوي(البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧، ص٢٤١.

(٥) نفسه، ص ٢٩.

ننجذب نحوه لأنه يكثف الوجود في حدود تتسم بالحماية، في مجال الصور، لا تكون العلاقات المتبادلة بين الخارج والألفة متوازية"[١].

وهناك من ذكر وقال بأن المكان هو عنصر من العناصر الأساسية التي يقوم عليها الحدث فلن تكون هناك دراما، بالمعنى الأرسطي للكلمة، ولن يكون هناك أي حدث، ما لم تلتق شخصية روائية بأخرى، في بداية القصة، وفي مكان يستحيل فيه ذلك اللقاء[٢]، أي أن المكان في الرواية لا يعد مكانًا عاديًا كالذي نعيش فيه حياتنا اليومية و إنما تتشكل الأماكن داخل الرواية من الشخصيات وتعتبر عنصر من العناصر المشكلة للحدث الروائي.

" المكان لا يتشكل باختراق الأبطال له، وليس هناك بالنتيجة أي مكان محدد مسبقا وإنما تتشكل الأمكنة من خلال الأحداث التي يقوم بها الأبطال ومن المميزات التي تخصهم"[٣]، أي أن المكان يتشكل من خلال الأحداث التي تقوم بها الشخصيات داخل العمل الروائي.

إن البيئة الموضوعية تؤثر على الشخصية (تحفزها) على القيام بالأحداث وتدفع بها إلى الفعل حتى أنه يمكن القول بأن وصف البيئة هو مستقبل الشخصية.

كما يعد المكان في الرواية" هو خادم الدراما، فإشارة إلى المكان تدل على إنه جرى أو سيجرى به شيء ما، فبمجرد الإشارة إلى المكان كافية لكي تجعلنا ننتظر قيام حدث ما، وذلك أنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث"[٤]. لهذا يعد المكان مفتاح من مفاتيح الدراما داخل الرواية.

من اللازم أن يكون هناك تأثير متبادل بين الشخصية و المكان الذي تعيش فيه أو البيئة التي تحيط بها، بحيث يصبح بإمكان بنية الفضاء الروائي أن تكشف لنا عن الحالة الشعورية

---

(١) غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا،المؤسسة الجامعية لنشر و التوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٤، ص٣١.

(٢) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء– الزمن– الشخصية)، ص ٢٩.

(٣) نفسه، ص ٢٩.

(٤) نفسه، ص ٣٠.

التي تعيشها الشخصية، بل وقد تساهم في التحولات الداخلية التي تطرأ عليها[١]. لهذا فإن المكان يساعدنا على فهم الشخصيات داخل الرواية فهو مرتبط بالبشرية، كما يساعدنا على سلوكيات الشخصيات باتجاه محدد داخل العمل الروائي، و أن الشخصيات هي الأساس في القيام بالأحداث وتشكل الأماكن ولا يمكن القيام بهذه الأحداث إلا ضمن أماكن معينة.

"حميد لحمداني" ينظر للمكان على أنه : "طبيعي أن أي حدث لا يمكن أن يتصور وقوعه إلا ضمن إطار مكاني معين، لذلك فالروائي دائم الحاجة إلى التأطير المكاني"[٢].

و" المكان هو الذي يؤسس الحكي لأنه يجعل القصة المتخّيلة ذات مظهر مماثل لمظهر الحقيقة "[٣].اي أن المكان مؤثر للشخصيات في الرواية و يحفز إلى إيجاد الأحداث ، كما يمكن أن يكون الأرض الخصّبة والملائمة لمسايرة الأحداث .

كما أضاف "**مهدي عبيدي**" مفهوم المكان بقوله: " إن المكان حقيقة معايشة ،ويؤثر في البشر بنفس القدر الذي يؤثرون فيه، فلا يوجد مكان سلبي أو فارغ، ويحمل المكان في طياته قيماً تنتج من التنظيم المعماري ،كما تنتج من التوظيف الاجتماعي فيفرض كل مكان سلوكاً خاصاً على الناس الذين يلجؤون إليه"[٤].

ومن المتأثرين بمصطلح المكان أيضا الفرابي الذي" أكد أن المكان موجود بيننا ولا يمكن إنكاره، إذ لا يمكن أن يوجد جسم من دون مكان خاص به"[٥].

---

(١) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء– الزمن– الشخصية)، ص ٣٠.

(٢) حميد لحمداني، بنية النص السردي(من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص ٦٥.

(٣) نفسه، ص ٦٥.

(٤) مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، ص٣٣.

(٥) حمادة تركي زعيتر ،جماليات المكان في الشعر العباسي ،ص ٣١.

وهناك بعض الفلاسفة والحكماء المسلمين الذين اهتموا بالمكان كالكندي الذي عرفه بأنه: " التقاء أفقي المحيط و المحاط به"[١].

ويذهب الفيلسوف الرياضي "إقليدس"على أن المكان هو الطول والعرض والعمق، فهو المكان الحسي الملموس أي أنه يستعبد الأشياء المجردة والمعنوية التي تحيل إلى الأمكنة "[٢].

ويرى "**ديكارت**" متأثراً برأي إقليدس حيث عرف المكان على أنه:" الممتد في الأبعاد الثلاثة"[٣]. ويقصد ديكارت بذلك على أن المكان يحتوى على الطول والعرض والعمق.

كما نجد "**أرسطو**" يرى:" أن لكل جسم مكانًا يشغله"[٤]، أي أنه لكل جسم من الأجسام هناك مكان ولا يمكن وجود جسم في الفراغ.

وكذلك نجد **أفلاطون** الذي كان اهتمامه واضحاً بالمكان وعبّر عنه باصطلاح فلسفي، فهو يعده الحاوي للأشياء"[٥].

كما عرف **آن شكمان** المكان:" المكان مساحة ذات أبعاد هندسية أو طبوغرافية تحكمها المقاييس و الحجوم لكن هذا التعريف لا ينطبق تماماً على ماهية المكان وفقا للرؤية الأدبية، التي اختلف الباحثون أيضا في تحديدها تحديداً دقيقاً، لهذا فهي خصّصت مفهوم المكان فقط على أنه ذات أبعاد هندسية طبوغرافية وتجاهلت انعكاسات المكان على الشخصيات من الناحية النفسية والاجتماعية...."[٦].

---

(١) حمادة تركي زعيتر ،جماليات المكان في الشعر العباسي، ص٣٠.

(٢) نفسه، الصفحة نفسها.

(٣) نفسه، ص٣١.

(٤) نفسه، ص٣٠

(٥) نفسه، ص٢٩.

(٦) سفيان المتنبي، فاعلية المكان في الصورة الشعرية، مجلة ديالى، العدد ٤٠، ٢٠٠٩، ص٣٠.

و نجد "**ياسين نصير**" عرف المكان في قوله:" هو الجغرافية المتماسكة في العمل الفني، وإذا كانت الرؤية السابقة له محددة باحتوائه على الأحداث الجارية، فهو الآن جزء من الحدث وخاضع خضوعاً كلياً له، فهو وسيلة لا غاية تشكيلية ولكنها وسيلة فاعلة في الحدث، وسيلة محتوية على تاريخه الحدث"(١).

وقد أصبحت المفاهيم حول المكان في العمل الروائي كثيرة و متعددة، ومهما يكن هذا التعدد فإن المكان واحد وهو الذي يشمل حيزاً من مساحة التي تقاس من هنا فكل ناقد أو عالم مهتم بمفهوم المكان في العمل الروائي، على اختلاف التناول فلسفياً أو اجتماعياً أوفنياً، يحاول تحديد هذا مفهوم بحسب اختصاصه(٢).

وتجنباً للإطالة، اقتصرت هذه الدراسة على هذه التعريفات على الرغم من توفر تعريفات أخرى عديدة في ميادين العلم المختلفة التي ورد فيها هذا المصطلح، " كميدان الفلسفة والهندسة والفن وغيرها"(٣).

٢: الفضاء

لقد شاع مصطلح الفضاء بين الكثير من النقاد، ذلك لماله من تعدد المصطلحات الغامضة والمتداخلة في معناها مع معان أخرى، وسنقف على تحديد مفهوم الفضاء من الناحية اللغوية والاصطلاحية:

١ــ لغة: ورد مفهوم الفضاء من الناحية اللغوية في عدد من المعاجم العربية، وكما ورد في لسان العرب لابن منظور: في مادة (فضا) " الفضاء: المكان الواسع من الأرض، والفعل (فَضا، يَفْضُو، فُضُوًا) فهو فاضٍ.

وقد فضا المكان وأَفضى إذا اتسع. وأَفْضى فلان إلى فلان أي وصل إليه، وأصله أنه صار في فُرْجَتهُ وفَضائهٌ وحيِّزهٌ.

(١) ياسين النصير، الرواية والمكان ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٨٦، ص ١٧،١٨.

(٢) مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، ص ٣٣.

(٣) حمادة تركي زعيتر ،جماليات المكان في الشعر العباسي ،ص٣١.

فالفضاء: الساحة وما اتسع من الأرض. يقال: أفضيت إذا خرجت إلى الفضاء" [١].

أما في القاموس المحيط فقد ورد مفهوم الفضاء في مادة (فضا) " فضاءً وفُضُوًا: اتَّسع، كأفضى دَراهِمهُ: لم يجعلها في صُرَّه. والفضاء: الفَضَى، والشيءٌ المُختلِطٌ، وبالمد الساحة وما اتسَعَ من الأرضِ"[٢]

وجاء في معجم مقاييس اللغة لابن فارس، الفضاء من (ف ض ا)" فضى، الفاء والضاد والحرف المعتلّ أصلٌ صحيح يدُّل على انفساح في الشيء واتَّساع. من ذلك الفضاء: المكان الواسع"[٣]. فالفضاء هنا يدل على الفراغ والاتساع ذلك أنه خالي لا يشغله ويملؤه شيء.

وفي معجم اللغة العربية المعاصرة نجد في "مادة (فضو): (فضا، يَفضُو، افَضٌ، فضاء، فهو فاضٍ). وفضاء المكان: فضا اتّسع، خلا. وأفضى المكان: وسّعه وجعله فضاء، أفضى القاعة كي تتسع للضَّيوف"[٤].

٢_اصطلاحا:

أما في المفهوم الاصطلاحي للفضاء، فلا نكاد نجد له مفهوم موحد لماله من تعدد المصطلحات والمفاهيم. فمصطلح الفضاء لم يشغل بال الدارسين انشغالهم ببقية المكونات السردية الأخرى." فقد اشتق الفرنسيون والإنجليز مصطلحي(espace) و(space) من لفظة(spatuim) اللاتينية، التي تعني في الأصل الامتداد و اللامحدود الذي يحوي كل

(١) ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، (د ط)، (د ت)، المجلد١٥، مادة (فضا)، ص١٥٧.

(٢) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، إشراف محمد نعيم العرقسوسي،تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ٨، ٢٠٠٥، ص١٣٢١.

(٣) ابن فارس، ابن أحمد، مقاييس اللغة، الجزء الرابع، تحقيق وضبط: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط١، ١٩٩١، ص ٥٠٨.

(٤) عمر أحمد المختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب (نشر،توزيع، طباعة)،القاهرة، ط١، ٢٠٠٨،المجلد الثالث، ص١٧٢٠.

الإمتدادت الجزئية المحددة، في حين لم يعرف الإغريق لفظة(الفضاء). إذ لم تظهر في لغتهم كلمة تدل على المكان، إنما عرفوا لفظة(topos) وتعني(موقع)"[١].

ومن أهم الدراسات التي اهتمت بالفضاء هي الدراسة التي قام بها(يوري لوتمان)، من خلال إنشائه: نظرية متكاملة للتقاطبات المكانية منطلقا من فرضية " أن الفضاء هو مجموعة من الأشياء المتجانسة التي تقوم بينها علاقات شبيهة بتلك العلاقات المكانية المعتادة "[٢].

والفضاء بتعبير آخر هو" الحيز ألزماني الذي تظهر فيه الشخصيات والأشياء متلبّسة بالأحداث تبعا لعوامل عدّة تتصل بالرؤيا الفلسفية وبنوعية الجنس الأدبي وبحساسية الكاتب أو الروائي"[٣].

فالفضاء الروائي مثل المكونات الأخرى للسرد لا يوجد إلا من خلال اللغة، فهو فضاء لفظي (espase verbal) بامتياز"[٤].

أما " **ميخائيل باختين**" فيرى أن:" الفضاء الروائي قد يكتسي طابعاً رمزياً من خلال تداخل مكوناته، فهناك فضاء خارجي وفضاء داخلي، وهناك فضاء منغلق وفضاء مفتوح، وفضاء حميمي وفضاء معاد"[٥].

حيث ظل مصطلح الفضاء إشكالية قائمة في النقد العربي، مما جعل الدارسين العرب يجعلون الفضاء مساوياً للمكان.

---

(١) زوزو نصيرة، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر) ٢٠١٠، قسم الأدب العربي، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السادس، ص٢.٣.

(٢) محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،(د ط)، ٢٠٠٥، ص٦٨.

(٣) صلاح الدين بان محمد حمدي، الفضاء في روايات عبد الله عيسى السلامة، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد١، المجلد١١، ٢٠١١، جامعة الموصل، ص ١٩٨.

(٤) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء، الزمن، الشخصية)، ص ٢٧.

(٥) إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، تموز (طباعة، نشر، توزيع)، دمشق،(د ط)،٢٠١٣، ص٣٤.

في حين أن المكان جزء من الفضاء، فلم تقدم الدراسات العربية مفهوما للفضاء، وقصرهم عن تقديم تصور عربي ينبع من الخطاب الأدبي العربي.

"والفضاء يكشف لنا عن درجة وعي الروائي، وقدرته على الإستعاب والتشكيل(مكاناً وزماناً) لمادته، وتعبيره عن قضاياه الراهنة والأساسية، ويثرى النص الروائي معمقا وجوده وحضوره وفعله"(١).

والفضاء في الرواية يكشف لنا:" أنه أوسع، وأشمل من المكان، إنه مجموع الأمكنة التي تقوم عليها الحركة الروائية المتمثلة في صيرورة الحكي سواء تلك التي تم تصويرها بشكل مباشر، أم تلك التي تدرك بالضرورة، وبطريقة ضمنية مع كل حركة حكائية "(٢).

فكما رأينا أن حميد لحمداني قدم مفهوما للفضاء، بحيث يعتبره أوسع من المكان،كما قدم جملة من المفاهيم التي تحدد المكان أو الفضاء والعلاقة بينهما.

أما **حسن نجمي** في كتابه(شعرية الفضاء) فقد تحدث عن الفضاء الروائي واعتبره مماثلا للفضاء الفني وذلك يظهر في قوله:" الفضاء الروائي مثل كل فضاء فني، يبني أساساً في تجربة جمالية،بما يعنيه ذلك من بعد أو انزياح عن مجموع المعطيات الحسية المباشرة، أي أن مجاله هو حقل الذاكرة والمتخّيل"(٣)

كما قال أيضا:" ولعله اتضح لنا نسبيا بالأقل، معنى الفضاء، إنه ليس معادلا للمكان"(٤)

والفضاء الروائي عند" **روحي الفيصل**" في كتابه:" البناء والرؤيا" :"هو فضاء الرواية جميعها. بيد أن دلالة مفهوم الفضاء لا تقتصر على مجموعة الأمكنة في الرواية. بل تتسع

(١) إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، ص ١٧.

(٢) حميد لحمداني، بنية النص السردي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ١٩٩١،ص٦٤.

(٣) حسن نجمي، شعرية الفضاء(المتخيل والهوية في الرواية العربية) المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠، ص ٤٧.

(٤) نفسه، ص ٥١.

لتشمل الإيقاع المنظم للحوادث التي تقع في هذه الأمكنة، ولوجهات نظر الشخصيات فيها، ومن ثم يبدو مصطلح الفضاء أكثر شمولاً واتساعاً من مصطلح المكان"[١].

ونجد من الدّارسين من ذهب يميز بين المكان والفضاء، حيث نجد:" **سيزا قاسم**" في كتابها "بناء الرواية " تميز بين الفضاء والرواية ولكنها أبقت على مصطلح المكان." فتعود الناقدة لتصف المكان وتضفي عليه مفهوم الفضاء حيث تجعل منه عالماً متخيلاً تصنعه الكلمات فالروائي عندما يبدأ في بناء عالمه الخاص الذي سوف يضع في إطاره الشخصيات يصنع عالما مكونا من الكلمات وهذه الكلمات تشكل عالماً خاصاً قد يشبه عالم الواقع وقد يختلف عنه وإذا شابهه فهذا الشبه شبه خاص يخضع لخصائص الكلمة التصويرية"[٢]

" والفضاء في الرواية يضم عنصرا الزمان والمكان، فهو بدوره يحوي أشياء متباينة ومتعددة بدأً من المساحة الورقية التي يتحقق عبرها جسد الكتابة، إلى المكان والزمان واللغة والأحداث وكل ما يجسد عالم الرواية "[٣].

يتضح لنا جلياً من جميع التعريفات التي تناولناها عن الفضاء الروائي أنه غير موجود في المكان فهو متغير لا يمكننا الإمساك به، حيث ظل مشكلا استعصى حله في الدراسات الغربية، فتناولوه الأوائل وسلموا بمحدودية اتجاهه، أما في الدراسات العربية فلم نجد له تعريف محدد، فقاموا بمقارنته بالمكان في معظم الدراسات.

(١) سمر روحي الفيصل، الرواية العربية، البناء والرؤيا مقاربات نقدية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، ٢٠٠٣، ص ٧٢.

(٢) محمد علي البنداق، الفضاء المكاني في رواية حقول الرماد(المواصفات، المكونات، الوظائف)، الزاوية، جامعة الزاوية، كلية الآداب، مجلة الجامعة، العدد الخامس عشر، المجلد الثالث، ٢٠١٣، ص٩.

(٣) زوزو نصيرة، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي المعاصر، ص١٧.

٣- الحيز

ورد في لسان العرب لابن منظور في مادة (حَوَزَ) من باب الزاي،فصل الحاء" والحَوزُ من الأرض يتخذها رجل ويبين حدودها فيستحقها، فلا يكون لأحد فيها حق معه، فذلك الحوَّز "(١).

وجاء في المعجم نفسه:"و الحَوْز:الجمع، وكل من ضَّم شيئاً إلى نفسه من مال أو غير ذلك، فقد حازه حَوزًا و حيازة، وحازه إليه، واحتازهٌ إليه"(٢).

أما في القاموس المحيط:" حوزٌ الجمعٌ. وضٌّم الشيء، كالحيازة والإحتياز "(٣).

كما ورد مصطلح الحيز في معجم اللغة العربية المعاصرة في مادة (حوز) "مفرد: ج أحواز (لغير المصدر): مصدر حاز، حاز على ما يضمه الإنسان لنفسه من الأرض ويبني حدوده ويقيم عليه الحواجز،فلا يكون لأحد حق فيها(أرض حَوْز فلان). حَوْز الدار: ما انضّم إليها من مرافق ومنافع"(٤).

كما نجد الحيز قد ورد في قاموس تاج العروس من جواهر القاموس للزبيدي في مادة حوز، فصل الحاء من باب الزاي :" الحوز: الجمع وضّم المثنى، وكل من ضّم شيئاً إلى نفسه من مال أو غير ذلك فقد حازه حوزاً (كالحيازة) بالكسر،(والاحتياز) ويقال حاز المال إذا احتازه لنفسه وعليك بحيازة المال وحازه إليه و احتازه إليه.

و الحوز: الموضع يحوزه الرجل (تتخذ حواليه مسناة) والجمع الأحواز "(٥).

٢_اصطلاحا

إن الحيز من المصطلحات التي لاقت انتشارا واسعا في دراسات الباحثين، مما جعلهم

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، الجزء السابع، ط١، ١٣٠١هـ، ص ٢٠٦.

(٢) نفسه، ص ٢٠٧.

(٣) الفيروز آبادي، القاموس المحيط، ص ٥٠٩.

(٤) أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة، ص ٥٨٠.

(٥) محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء الرابع، (د ط)، (د ب)، ١٨٨٥، ص ٢٩.

يدرسونها من خلال إزالة الغموض و اللبس الذي يعتريها بينها وبين الفضاء. و نجد من الدارسين وعلى رأسهم "**عبد المالك مرتاض**" في كتابه "في نظرية الرواية" يعرف الحيز:" في كون الفضاء مصطلح قاصر بالقياس إلى الحي، لأن الفضاء من الضرورة أن يكون معناه جاريًا في الخواء والفراغ، وبينما الحيز لدينا ينصرف استعماله إلى النتوء، والوزن، والثَقل، والحجم، والشكل... على حين أن المكان نريد أن نقفه في العمل الروائي، على مفهوم الحيز الجغرافي وحده"(١).

والحيز لدى "**غريماس**": "هو الشيء المبني (المحتوى على عناصر متقطعة)، انطلاقا من الامتداد المتصور، هو على أنه بُعد كامل ممتلئ، دون أن يكون حلٌ لاستمراره، ويمكن أن يُدرس هذا الشيء المبنيٌ من وجهة نظر هندسية خالصة"(٢)

إن هذا التعريف للحيز الذي قدمه **غريماس** هو عبارة عن حيز ينطلق من امتداد متصور، ومعنى التصور هو اللامحدود، فهذا الفضاء في نظر غريماس هو حيز لا محدود.
وفي الأخير ننظر للفضاء على أنه أوسع من المكان وأشمل، ذلك أن هذا الأخير يحوي الأمكنة جميعا. فالفضاء الروائي نجد أنه لا يقتصر على هذا فحسب، بل ينبغي أن نربطه بباقي المكونات الروائية الحكائية المشكلة لنسيج النص السردي.

ثانيا: أنواع الأماكن وأهميتها في السرد الروائي

١_ أنواع المكان

لقد اختلف النقاد والباحثون المعاصرون في تعيينهم لأنواع المكان في السرد الروائي، فكلا قسمه حسب نظرته.

(١) عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، إشراف أحمد مشاري العدواني،الكويت، (د ط)، ١٩٩٨، ص ١٢١.
(٢) نفسه، ص ١٢٢.

ومن التقسيمات الواردة في الرواية نذكر:

أ_ الأماكن العامة:

" وهي الأماكن المشعة للجميع، حدودها متسعة ومفتوحة.

وتقترن عادة ب(الحرية، والسعادة، والفرح، وبالحالة النفسية المستقرة)"[1].

فهي أماكن تكشف لنا عن حالة الشخص عند اقترانه بهذا المكان وما تتأثر به نفسيته حيال ذلك، سواء كان في مدينة أو قرية... إلخ.

ب_ الأماكن الخاصة:

"وهي الأماكن التي تخص فردا واحدا، أو أفرادا عدة، يتحرك الفرد في دوائر متراكزة من الأماكن، بحيث يقترن المكان الخاص(المغلق) بمعاني(الانطواء، والعزلة، والحزن، أو حتى الاضطهاد).[2]

وقد قسم "(غالب هلسا) المكان الخاص إلى ثلاثة أنواع وهي:

١_ المكان المجازي: وهو المكان الذي نجده في رواية الأحداث المتتالية، حيث نجد المكان ساحة للأحداث، ومكملا لها، وليس عنصرا مهما في العمل الروائي،
إنه سلبي، مستسلم يخضع لأفعال الأشخاص.

٢_ المكان الهندسي: وهو المكان الذي تعرضه الرواية بدقة وحياد، من خلال أبعاده الخارجية.

٣_ المكان كتجربة معاشة داخل العمل الروائي: وهو قادر على إثارة ذكرى المكان عند

(١) صلاح الدين بان محمد حمدي، الفضاء في روايات عبد الله عيسى السلامة، ص ٢٠٢.
(٢) نفسه، الصفحة نفسها.

المتلقي. ولعل المؤلف عندما يستعيد ذكرياته عن المكان، جعل هذه الاستعادة، لدى المتلقي، نوعا من ذكرى المكان الخاص به"[١].

فالمكان الروائي يلعب دور في قدرة الشخصية على التأقلم مع الأماكن الخاصة، سواء كان البيت أو الغرفة... إلخ. أو العامة كالمدينة والشوارع والمقاهي... إلخ. وفي تغيير الحالة النفسية والشعورية للشخصية نتيجة الانسجام أو النفور من هذه الأماكن.

٢_ أهمية المكان الروائي

تظهر أهمية المكان في النص السردي في كونه العمود الفقري للرواية لماله من قيمة وأهمية.

" فللمكان قدرة على تحقيق الانسجام بين الحدث والشخصيات والقارئ "[٢].

" وأن المكان في الرواية ليس المكان الطبيعي، فالنص الروائي يخلق عن طريق الكلمات مكانًا خياليا له مقوماته الخاصة وأبعاده المميزة "[٣].

" في حين يختلف تجسيد المكان في الرواية عن تجسيد الزمان، حيث أن المكان يمثل الخلفية التي تقع فيها أحداث الرواية. أما الزمن فيتمثل في هذه الأحداث نفسها وتطورها"[٤].

" كما يعد المكان أحد المكونات الحكائية التي تشكل بنية النص الروائي، لكونه يمثل العنصر الأساسي الذي يتطلبه الحدث الروائي، والشخصية الروائية في الوقت نفسه، ولهذا يلعب دورًا مركزيًا داخل منظومة الحكي"[٥].

---

(١) محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، ص ١١١،١١٢

(٢) يوسف بن حسن حجازي، عناصر الرواية، ٢٠١٠(د د)، (د ب)، (د ط)، ٢٠١٠،ص ١٤.

(٣) سيزا قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)،مكتبة الأسرة (سلسلة إبداع المرأة، إشراف عفاف السيد)، القاهرة، (د ط)، ١٩٧٨، ص ١٠٤.

(٤) نفسه، ص ١٠٦.

(٥) أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٥، ص ١٢٧.

ويضيف " **أحمد مرشد**" في " **كتابه البنية والدلالة**" أمسى المكان شرطًا لازمًا للروائي، كي يبني عليه عالمه، ويحيي فيه المجتمع الروائي الذي تعيش فيه مجموعة من الشخصيات، ترتبط فيما بينها بعلاقات محددة، ونظم اجتماعية متنوعة"(١).

كما يعد المكان عنده" العمود الفقري الذي يربط أجزاء النص الروائي ببعضها البعض، وهو الذي يسم الأشخاص، والأحداث الروائية في العمق"(٢)

" ويعود الاهتمام الكبير بالمكان لحضوره الكثيف في كل مناحي حياتنا، ولعظم قدره في الحياة الإنسانية بعامة، ولعله ما من قرين للترجمة البشرية مثله، فهو عمادها ومصطلحها وهو مغذيها، وهو منطلقها ومصبها وهو ترجمتها أيضا"(٣).

" كما تنبثق أهمية دراسة (المكان) في الرواية من كونها مرشداً إلى نماذج أكثر دلالة على الحياة وإسهاماً في تطوير الإبداع الروائي"(٤).

" إضافة إلى أن دراسة "غالب هلسا" للمكان في الرواية العربية، هي أولى الدراسات التي تناولت المكان باعتباره عنصرا حكائياً مهماً في الرواية.

في حين أن الروائي يصف أمكنة حقيقية فإنه يجعل القارئ (يثق) أكثر بالقصة"(٥).

إن المكان والفضاء لهما نفس الدلالة، ولكن الدارسين قد اعتبروا الفضاء أشمل وأوسع من المكان، ذلك أن هذا الأخير يعتبر ركيزة مهمة للتعبير عن خلفيات النص الأدبي من علاقات بين العناصر مما يساعد ذلك في تطور الرواية.

---

(١) أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله ، ص ١٢٧.

(٢) نفسه، ص ١٢٨.

(٣) زوزو نصيرة، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، ص ٥.

(٤) محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع، سورية، ط ١، ١٩٩٦، ص ١١١.

(٥) نفسه، ص ١١٥.

وفي كتاب(بنية النص السردي لحميد لحمداني):" تظهر أهمية المكان في تشخيصه للرواية، فهو يجعل من أحداثها بالنسبة للقارئ شيئاً محتمل الوقوع، بمعنى يوهم بواقعيتها، أنه يقوم بالدور نفسه الذي يقوم به الديكور،والخشبة في المسرح"(١).

وأهمية المكان كمكون للفضاء "يجعل بعض النقاد يعتقدون أن المكان هو كل شيء في الرواية، بعيدًا على أن يكون محايدًا نراه يعبر عن نفسه من خلال أشكال متفاوتة، ويكتسب معاني متعددة إلى الحد الذي نراه أحيانا يمثل سبب وجود النتاج نفسه"(٢).

(١) حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص٦٥.

(٢) نفسه، ص ٦٦.

الفصل التطبيقي

البعد الجمالي للمكان وعلاقته بعناصر السرد في الرواية

أولا: أنواع الأماكن في الرواية

1_ الأماكن العامة (المفتوحة)

2_ الأماكن الخاصة (المغلقة)

ثانيا: المكان وعلاقته بالعناصر السردية في الرواية

1_ المكان والشخصية

2_ المكان والزمن

3_ المكان والوصف

نتناول في هذا الفصل كل من أنواع المكان وعلاقته بالعناصر الروائية، فنجد أن الشخصية الروائية تلعب دوراً بارزاً داخل المكان المفتوح المكشوف للعيان الذي لا تحدّه بنيان، أو داخل المكان المغلق الذي لا تبدو معالمه واضحة فهو مستور عن العرفان، كما أن للمكان قدرة على تحقيق الانسجام بين عناصر السرد الروائي.

أولاً: أنواع الأماكن في الرواية

***الأماكن العامة والأماكن الخاصة الواردة في الرواية:**

١ــ الأماكن العامة(المفتوحة): " تعني سعة الأفق، ورحابة الفضاء، إلا أنهم اختصوا من هذه الرحابة بما يتلاءم مع تجاربهم العاطفية"[١]، ويعد المكان عنصراً فعالاً في بناء الرواية وتطورها، وتتميز بالطلق والحرية و الانفتاح عن الخارج ومن الأماكن المفتوحة نجد (المسجد، الشارع، المدينة،....).

أ_ المسجد: هو مكان "لا غنى للمسلمين عنه، فهو محل أداء شعائرهم التعبدية من الصلاة والإعتكاف وقراءة القرآن وذكر الله، وهو منطقة الهداية والتوجيه وميدان للعلم والتعليم ومنبت للتربية والتثقيف وهو النور المشع في قلوب المؤمنين وهو ساحة التقاء المسلم بأخيه المسلم"[٢].

ففي الرواية قد وصفت لنا الساردة مسجد جرّبة في تونس بقولها:" وهو يحول بصره ليتأمل باحة المسجد المفروشة بالرخام الأبيض وصومعته الباسقة التي ترفع إلى عنان السماء، لم يكن يستطيع في كل مرة يقف فيه هذه الوقفة أن يخفي إعجابه بهندسة المسجد

---

[١] حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، ص ١٢١.

[٢] زهير عباس عزيز القريشي، دور مسجد الكوفة في تنمية السياحة الدينية في مدينة الكوفة المقدسة، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد ٩٩، ٢٠١٤، ص ٢٩٨.

وتناسق أبعاده. فرغم أنه لا يحتوي على الزّخرفة المعروفة في مختلف المساجد التونسية المشهورة فقد كان ذا طابع فريد مثل كل مساجد جرّبة القديمة"[١].

كما تعلقت ندى بعد اعتناقها للدين الإسلامي بالقرآن والصلاة و بالذهاب إلى المساجد لتستفسر عن أمور الدين الإسلامي ويظهر في:" عادت وحيدة إلى مسجد باريس الكبير مرات، تقابل الأئمة وتستفسر "[٢].

كما تحدثت عن صلاة المسلمين في المساجد بقولها: "نحن نزدحم لنكون معاً فالصلاة الجماعية، والجماعة تعني أن نكون كالبنيان المرصوص متلاحمين،لا نترك فرجة يتسلل منها الشيطان ويفسد وحدتنا، وتلك ميزة الصلاة في المسجد"[٣].

كذلك تحدثت عن مسجد المدينة العتيقة بقولها:" هزّ أبو أحمد رأسه مؤكداً وهو يشير إلى المبنى الذي وقفا أمامه، لم يكن أحمد قد انتبه إلى أنهما وصلا إلى مسجد المدينة العتيقة الصغير، كانت صومعته المنقوشة ترتفع إلى عنان السماء وتتجاوز كل المباني المجاورة"[٤]. وهكذا وصفت لنا الساردة المسجد وصفا داخلياً و خارجياً.

ب_ المقهى: "مكان مفتوح و مكان انتقال خصوصي، بتأطير لحظات العطالة والممارسة المشبوهة التي تنغمس فيها الشخصيات الروائية كلما وجدت نفسها على هامش الحياة الاجتماعية الهادرة، فهناك دائما سبب ظاهر أو خفي يقضي بوجود الشخصية ضمن مقهى ما"[٥]، ونستدل بذلك من الرواية بقولها:" توقف عند المقهى الشعبي وأخذ يتفرس في وجوه الجالسين عله يجد من ضمنهم ضالته"[٦].

---

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبريّة، دار كيان للنشر والتوزيع، مصر،(د ط)، ٢٠١٣، ص ١١.

(٢) نفسه، ص ٢٢١.

(٣) نفسه، ص ٢١٧.

(٤) نفسه، ص٣١٥.

(٥) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي (الفضاء– الزمن– الشخصية)، ص ٩١.

(٦) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٩٨.

فالمقهى تعد مكاناً لتعارف الشخصيات ومكان لتبادل الكلام ويظهر في الرواية، " يمر أمام مقهى الحي الشعبي حين سمع من ينادى باسمه، التفتت إلى الشخص الجالس إلى الطاولة له عند ناصبة الطريق"(١)، وقولها أيضا:" لم أسأله عن شيء من ذلك تحدثنا لدقائق معدودة في مقهى الحي، عرفني بنفسه وطلب موعداً، ثم انصرف لحال سبيله"(٢).

لهذا " فإن المقهى مكان للراحة، وهي نهاية مكانية لتلك السلسلة المتلاحمة وهي بهذه الوضعية تستجمع قواها الذاتية لتوفر لوناً من الراحة"(٣).

جـ الحي: "هو مجموعة الأماكن السكنية التي يمنحها سكانه خصائص الارتباط الاجتماعي، والمصلحة المشتركة، ويؤثر بعضهم على بعض، وهو أيضا المكان الذي يشعر فيه هؤلاء السكان بالانتماء إلى المجتمع الذي يعيشون فيه"(٤).

أشارت الساردة إلى الحي في قليل من المواضع في الرواية ويظهر ذلك في قولها: "سبقت السيارة أفكارها وهي تمر بالقرب من الحي اللاتيني، الحي السياحي عن جدارة"(٥)، هنا تحدثت الساردة عن الحي في باريس.

كما ذكرت أحد أحياء جربة بقولها: "فانشغل بتأمل واجهات المحلات في طريق(الحارة الكبيرة) أحد أكبر الأحياء التي يقطنها يهود جربة"(٦).

د_الشارع: يعد فضاء الشارع أحد الفضاءات المفتوحة، الشارع صحراء المدينة، وجزؤها الزمني، وحياتها الدائبة المتحركة،ولولب بعدها الحضاري لامتداده، طاقة من خيال،

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبريّة، ص ٤٦.

(٢) نفسه، ص ٦٥.

(٣) ياسين النصير، الرواية والمكان، ص ٤١.

(٤) جميلة العلوي، واقع الأحياء المتخلفة لمجتمع مدينة سطيف، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، ٢٠٠٦/٢٠٠٧، ص ١٢.

(٥) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٢٠٨.

(٦) نفسه، ص ١٣.

ولانعطافاته تحولات في الزمان والمكان، ولسعة رئتيه، ولساكنيه حرية الفعل وإمكانية التنقل وسعة الإطلاع والتبدل"[١].

لقد كان للشارع حضور كثيف في الرواية والذي نوجزه في الجدول التالي:

المقطع	الصفحة
"ولا تسمح إلا بانعكاس من جزء يسير من إنارة عمود الكهرباء المنتصب في ناحية الشارع "	١٢٥
"للحظة تخيلت نفسها تركض نحوه، وتتعلق بذراعه كما تفعل الفتيات مع الشباب في الشارع، فقد حزّ في نفسها أن تكون مصالحتهما بذلك البرود "	١٣١
"ركضت عبر الشوارع الملتوية وهي تشدُّ بقوة على سلتها بعد أن تحطمت المطرية وأفلتت منها بقاياها "	١٥٤
"شهقت حين وقع نظرها على الطائرة التي تحلق على ارتفاع منخفض تلفتت حولها في هلع، كان هناك عدد قليل من المارة في الشارع "	١٥٦
"ركضت بكل قواها عبر الشوارع الزلِقة، كانت تجتاز الأزقة المتشبعة وهي بالكاد ترى أمامها أثر الرطوبة "	٢٥٦
"لم تكن تدري أين تقصد وأي مسار تسلك فكل الشوارع وجهتها وكل الوجوه ضالتها "	١٥٦
"كانت الفيضانات قد غمرت الشوارع بشكل غير مسبوق سقط العديد من الضحايا بسبب ارتفاع مستوى الماء "	١٥٩
"سارت على مهال عبر الأزقة والشوارع، لم يتبق الكثير من آثار الكارثة الطبيعية والعسكرية التي ألمت المدينة بالشهر الماضي"	١٧٠
"ابتسم في رضا، وهو يطالع صورتها في المرآة العاكسة والسيارة تنطلق	١٨٠

(١) ياسين النصير، الرواية والمكان، ص ١١٤.

بهم عبر الشوارع المزدحمة"	
"لكن يجب أن تذهب إلى الشارع الأخر، هناك متاجر لم ينسب لي الوقت لزيارتها من قبل"	١٨٠
"فقد سرحت نظراتها في اتجاه الشارع الذي غاب عبره أحمد كان نفسها تحدثها بأن أمرا غير عادي يحدث حولها "	١٨١
"حيث ظهر أحمد من نفس الشارع الذي غاب فيه منذ قليل"	١٨١
"وجدت نفسي في الشارع بلا مأوى.... ملابسي ممزقة متمهلة، مثل الشحاذين"	٢٣٧
" أختاه ...عذرا على الإزعاج في هذه الساعة ... لكن أخي مصاب في ساقه والسيارة تعطلت بنا في شارعكم ولا يمكن الوصول إلى المستشفى	٢٢
"خرج من مكتبه عند منتصف النهار بلا اتجاه، يتسكع في الشوارع العتيقة"	٣٠٣

ومن الملاحظات التي نستخلصها نجد:

_ أن الشارع في الرواية حضر بكثافة (مرة الشوارع القرية ومرة شوارع المدينة).

_ كما تختلف طبيعة الشوارع بين اللأمن و اللأستقرار و الخوف، وكما تمتاز أحياناً أخرى بالهدوء والسكينة و الاستقرار.

_ استطاعت الساردة خولة حمدي أن تدخلنا في جو الرواية، وجعلتنا نتجول في شوارعها والعيش في أحداثها.

_ يتحول الشارع في بعض الأحيان إلى مكان مليء بضجيج المتظاهرين بوصفه فضاء مفتوح يوحي بالاتساع والانفتاح للعابرين." يعد الشارع أحد مخارج الشخصيات الروائية هرباً من ضيق الداخل المختنق إلى الخارج المفتوح حيث الفضاء المنفتح والنابض بالحياة والشارع الذي يتحرك فيه الناس كل يوم وكل ساعة"[١].

(١) محبوبة محمدي أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، (د ط)، ٢٠١١، ص ٥١.

هـ_ الجامعة: "هي ملتقى لمختلف الأجناس و الأعراف هي مشيج و وشيح العلاقات بين الناس، وهي مركز إشعاعي ومصدر للوعي الثقافي والعلمي، فكلمة الجامعة مشتقة في اللغة العربية من كلمة الاجتماع حول هدف، إذ يكمن هدفها في اكتساب المعرفة والتعليم العالي ومنه فالجامعة تعني مؤسسة التعليم العالي والبحث العلمي إذ تعطي شهادات التخرج وتوفر دراسة من المستوى الثالث والرابع كاستكمال للمستوى الثانوي، وكمسلك أخير له"(١).

كما تعد الجامعة مكان مفتوح، وقد تحدثت الساردة عن الجامعة في كثير من المواضع في الرواية ويظهر ذلك في قولها:" صارتا امرأتين الآن كلتاهما تدرس في الجامعة"(٢)، قولها أيضا:" الفتاتان تدرسان في الجامعة"(٣).

" كانت ندى جدّ متفوقة في دراستها مما جعلها تسافر إلى باريس لمواصلة دراستها، بحيث اهتمت الجامعة بتأجير شقة صغيرة لها في مبنى أكثر سكانه من الطلاب"(٤).

وصفت لنا الساردة الجامعة في قولها:" لا يمكنك أن تتصور كم الجامعة واسعة، وكم فيها من الأقسام، لكن الشيء الأكثر إثارة هو الجنسيات المختلفة هنا، كأن شعوب الأرض كلها أرسلت سفراءها لتمثيلها في الجامعة، صينيون وهنود و أفارقة و آخرون من مختلف الجنسيات الأوروبية، مزيج لا يصدق من الألوان والأصول المختلفة"(٥).ولهذا فإن الجامعة مكان مفتوح لمختلف الجنسيات.

ووصفتها أيضا بقولها:" الجامعة فيها تخصصات كثيرة وعدد الطلبة كبير أيضا، هذا ليس غريباً عن الجامعة بمثل هذه الشهرة، وقاعات الدرس رائعة من حيث التهيئة والتجهيز،

(١) فيروز جدي، وفاء حطابي، البنية السردية في رواية طوق الياسمين(رسائل في الشوق والصبابة والعشق المستحيل) للروائي واسيني الأعرج، مذكرة مكلمة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، تحت إشراف: رشيد وقاص، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي التبسي، تبسة، ٢٠١٦/٢٠١٧، ص ٥١.

(٢) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص٤٦.

(٣) نفسه، ص ٥٩.

(٤) نفسه، ص ٢٠٧.

(٥) نفسه، ص ٢١١.

والمدرجات تتسع لمئات الطلبة تعرفت إلى بعض الطالبات في درس الفلسفة واحدة من رومانيا، والأخرى من أرمينيا"[١].

كما أشارت إلى المكتبة كونها من الفئة المثقفة بقولها:" استعرت بعض المراجع من المكتبة العامة، وسأشرع في العمل عليها قريبا، المكتبة أيضا مدهشة!"[٢].

و_المطار: من الأماكن المفتوحة، ومكان التقاء عامة الناس من مختلف الأماكن والمناطق يظهر في قولها:" توقفت السيارة التي ستنقلها إلى موقف الحافلات، ومن ثم تركب الحافلة إلى بيروت ومطارها الدولي، دانا قالت إنها ستنتظرها عند المحطة لتسلمها جواز سفرها"[٣].

"وقف جاكوب في المطار، يطالع ساعته في توتر"[٤]، كذلك " لم ينطق أحدهما بكلمة واحدة طيلة الرحلة إلى المطار"[٥]. إذن فالمطار يعد نقطة بداية الأحداث وانتهائها في نفس الوقت، فهو مكان صانع و مؤثر للموقف.

كما يعد مكان للفراق أيضا مثال ذلك، رحيل ريما من تونس إلى لبنان وانتقالها من العائلة التي تبنتها بما فيها(العم جاكوب) إلى منزل أخته راشيل في لبنان.

ز_الكنيسة: مكان مفتوح مخصص للنصرانيين لممارسة المسيحية، كما تعني الكنيسة متعبد اليهود والنصارى، وفي هذا تقول الروائية:"هل تصديقين أنه يريد أن يكون زواج أبنتي في الكنيسة"[٦].

تحدثت أيضا عن الكنيسة في عدة مواضع في الرواية بقولها:" حدق حسان بعدم استيعاب في الرجل الذي ارتدى زيّ راهب الكنيسة، وصليب من الحجم الكبير يتدلى في

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبريّة، ص ٢١١.
(٢) نفسه، ص ٢١٢-٢١٣.
(٣) نفسه، ص ٢٥٦.
(٤) نفسه، ص٧١.
(٥) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبريّة ، ص ٢٥٨.
(٦) نفسه، ص ٥٧.

عنقه، في البداية فتاة يهودية تدخلهم بيتها ثم تستعين براهب مسيحي لعلاج الجرح، وتقول بأنه أخوها"[١].

ذكرت الروائية الطبيب ميشال الذي فحص أحمد عند إصابته:" ميشال درس التمريض قبل أن يلتحق بخدمة الكنيسة"[٢]. وفي قولها:" مال ميشال على أذن ندى، وهمس بصوت لم يسمعه غيرها: هل تدرين من الذي زاري البارحة في الكنيسة"[٣].

كما أن غياب أحمد طيلة تلك السنوات عند رجوعه أصبح مسيحياً ويظهر في قول الروائية:" عاد مسيحياً، يحمل صليباً حول عنقه تعود إلى الكنائس في السنوات الماضية و يصلي صلاتهم! لم يدخل المسجد منذ زمن طويل... لا يعرف القرآن، أصبح شخصا آخر لا أعرفه"[٤].

وقولها أيضا عند مغامرة ندى و أحمد:" كانت مغامرة حين ارتبط بها وهي يهودية، وهو على دين الإسلام، واليوم هي مغامرة جديدة...أن نحاول معه من جديد، وهو مسيحي، وهي على الإسلام، بالمفارقة بين مغامرتي الأمس واليوم"[٥]. ولهذا تعد الكنيسة مكان مفتوح للعبادة المسيحية.

كما تحدثت الساردة عن الأم اليهودية التي تعارض زواج ابنتها في الكنيسة رغم أنها تزوجت من مسيحي ويظهر في قولها: "يقام الزفاف في البيت أولا بحضور رجل الدين اليهودي ثم يذهب الجميع إلى الكنيسة لإتمام المراسم على الطريقة النصرانية"[٦].

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية ، ص ٢٤.
(٢) نفسه، ص ٢٤.
(٣) نفسه، ص ٤٤.
(٤) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية ، ص ٣١٧.
(٥) نفسه، ص ٣٩.
(٦) نفسه، ص ٥٧

وفي حديثها عن أداء الصلاة في الكنسية تقول الكاتبة: "منذ سنوات وأنا أذهب إلى الكنيسة للدعاء والصلاة لكن حين دخلت المسجد أحسست بعظمة المكان وقدسيته"(١). فهنا ذكرت الساردة أحمد الذي غاب طيلة أربع سنوات عاد فاقداً لذاكرته ورجع على الدين المسيحي لكن عند دخوله للمسجد أحس برهبة فهو يقوم بالصلاة والدعاء داخل الكنيسة.

ح_ القرية: هي مكان مفتوح وتتخذ أحيانا الرمز الحميم لحياة الإنسان فهي تعد الولادة الأولى للأماكن القديمة، و تشير القرية إلى الهواء الطلق النقي الجميل ويظهر ذلك في الرواية:" كان حفل شواء في الهواء الطلق في المنزل الريفي الذي تملكه العائلة في قرية متاخمة لقانا"(٢).

كما رمز للقرية بأنها مكان طمأنينة البال والهدوء والنقاء وقد ذكرت القرية في الرواية مكان لخطبة ندى وأحمد:" ابتسمت هذه المرة وهي تهز رأسها موافقة، فاستطرد و هو يمد ذراعه ليشير إلى الضيعة التي أصبحت معالمها مجرد خيالات ضبابية تطفو في الظلام: هذه الأرض كانت ملك لجدي- رحمه الله- لكن والدي لا يستغلها كما يجب، تبقى مهملة معظم الوقت ولا يهتم بها سوى في العطل(٣).

وتتخذ القرية أحيانا الرمز الحميم كيان الإنسان، وهذه الأرض كان أحمد يحبها كثيرا و يرسم فيها كل أحلامه مع ندى و يظهر ذلك بقولها:" ما رأيك أن نعيش هنا بعد زواجنا؟ بعد سنة واحدة أتحصل على شهادتي في الهندسة الزراعية. وسأحول هذا المكان إلى جنة على وجه الأرض... بإذن الله! ما قولك؟"(٤).

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية ، ص ٣٢٠.
(٢) نفسه، ص ٨٨.
(٣) نفسه، ص٩٢.
(٤) نفسه، الصّفحة نفسها.

تعد رمز لعالم الريف بعيداً عن عالم المدنية فهي رمز الهدوء والنقاء، و يظهر ذلك في الرواية:" كانت ندى وعائلتها مدعوين هبت أولى نسمات المساء الباردة حين بدأت الشمس رحلة الغروب، و انحسرت خيوطها الخفية لتتوارى خلف الروابي التي تتابع على امتداد البصر، بهت لون السماء مع اقتراب حلول الليل، وغرقت المروح في حمرة دافئة لتترك الظلام ينشر رداءه خلسة "[١].

إذن فالقرية كما وصفتها الساردة مكان مفتوح للخارج ولها جمالها وطبيعتها وجعلها أراضي حية من طرف المزارعين بعد إعادتها من الإسرائيليين.

ط_ الحديقة:" تعد الحديقة من الأمكنة العامة المفتوحة، يرتادها الناس، لتمضية وقت الاستراحة، والتمتع بأشجارها وأزهارها وحشائشها الخضراء، والركون إلى الهدوء النفسي والراحة، والحديقة مكان ألفة محبة ومسلية، يلجأ إليها الناس، يتعارفون فيها وأحاديثهم فيها العامة، يجلس لوحده، شارداً مستذكراً ذكرياته المفرحة أو المحزنة"[٢].

الحديقة مكان مفتوح فهي تعد مكان للفسحة وتغيير للجو الروتيني المتكرر ويظهر ذلك في قولها:" لم يجد بدا من تعقب خطواتها، سارت بمحاذاة جدار المنزل، ثم استدارت باتجاه الحديقة الجانبية، وفي أقصى الحديقة الخلفية"[٣].

وتشعرنا الحديقة بالراحة، ويظهر في قولها عن الحديقة أيضا:" ثم خرجت مسرعة مجددا، تقدمت في اتجاه باب الحديقة وفتحته،" فتحت الباب وتطلعت إلى الشبحين الذين وقفا عند مدخل الحديقة"[٤] "أخذ يسيران في بطء باتجاه السيارة التي توقفت أمام باب الحديقة"[٥]، إن

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية ، ص ٨٨-٨٩.

(٢) محبوبة محمدي أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص ٥٣.

(٣) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٢٣.

(٤) نفسه، ص ٢٢.

(٥) نفسه، ص٣٥.

الحديقة كمكان عام ومفتوح يشعرنا بالألفة و الطمأنينة بعكس البيت الذي لا يشعرنا سوى بالخوف والقلق والذل في بعض الأحيان"[١].

كما أن منظر الحديقة جميل وخلاب فهو مكان للفسحة ويظهر ذلك في قول الساردة:" انظري نافذة الغرفة تطل على الحديقة منظر خلاب في الربيع أرجو أن تعجبك"[٢].

و الحديقة من الأماكن التي تستريح فيها النفس ومكان لطلب النزهة وهي مكان لانبعاث الأمل والحياة من جديد هروباً من الملل:" سارت ناحية النافذة منظر جميل عرفت فيها بعد أنها كانت تطل على حديقة لكسمبورج المعروفة "[٣]. إذن فالحديقة حلقة حركية واسعة ذات المناظر الجميلة .

وقولها أيضا عن منظر الحديقة، وهي تشير إلى الحديقة الخلابة التي تتوسط فناء الجامع فالحديقة مليئة بالأشكال والألوان الجميلة المختلفة، وفي هذا تقول الروائية:" عبرت الحديقة الأمامية ... وهما تحيلان النظر حولهما في فضول ممزوج بالإعجاب"[٤].

وقولها أيضا:" ثم جلسنا لبعض الوقت في الحديقة، نستمتع بدفء الشمس التي تطل علينا في حياء من وراء السحب، ثم أعددنا فطوراً فاخراً يليق بأكبر الولائم"[٥].

إذن" فالحديقة مكان لكثرة الحركة فيه بدل المكان الذي يحمل خيراً واحد في طياته أناساً لئيمين لا يحملون شيئا من الإنسانية"[٦].

ي_ البحر: " فضاء واسع خالد بسحره، وجاذبيته والبحر هو الحياة، وهو الحرية، والبحر يتطلب الشجاعة ومن يخوض في غماره لا يخشي شيء، والبحر رمز الاستمرارية

(١) محبوبة محمدي أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص ٥٤.

(٢) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٧٦.

(٣) نفسه، ص٢٠٨.

(٤) نفسه، ص ٣١٤.

(٥) نفسه، ص٢٣٥.

(٦) محبوبة محمدي أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية، ص ٥٤.

والميلاد"[١]، و" أن البحر بوصفه مكاناً، يقدم نعمة الحياة ، ويفتح أبواب العالم ونوافذه، ليعرف الإنسان ما يجهله"[٢].

وقد أشارت الروائية إلى البحر في قليل من المواضع بقولها:" وقفت ندى على سطح البطاح العائم في البحر الأبيض المتوسط، شدّت قامتها وهي تستقبل النسيم، الذي هبّ بارداً من الشمال، وابتسمت وهي تسرح بنظراتها إلى الأفق البعيد، هذه زيارتها الثانية لتونس وإلى جزيرة جربة بالذات"[٣]. هنا وصفت لنا الساردة البحر المتوسط في مدينة جربة بالتحديد.

" البحر فضاء جغرافي مفتوح متميز، فالبحر كالعالم فسيح، وفضاء مكاني و طوبوغرافي متميز، ويتمظهر بطرائق شتى في العمل السردي، وهو يؤطر الأحداث، والشخوص ويحدد هوياتها، وخصوصياتها"[٤].

ك_ السوق: "هو المجال الذي تجري فيه العملية التجارية، ويشتق من كلمة "ساق" "يسوق" الحيوانات التي يراد بيعها ويقترب في اللفظ من الكلمة السامية "سوقوا"، وهو مكان يتجمع فيه الناس في موسم معين لتبادل البضائع"[٥].

السوق مكان مفتوح لعامة الناس للبيع والشراء وقد صورت لنا الساردة سوق جربة ويظهر ذلك في قولها :" لكن الحرارة الخانقة لم تمنع السائحين وأهل البلاد من ارتياد السوق العتيقة التي تتربع في طرقات (حومة السوق) قلب جربة القديمة... معلنا عن إجازة مفتوحة على إيقاع رقصة (الشالة) التقليدية الهادئة التي تنساب في غير ضوضاء من بعض المحلات المتاخمة للسوق"[٦]. لهذا يعد السوق مكان مفتوح فهو مكان يعد لمتبادلات التجارة من صادرات وواردات.

---

(١) مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، ص ١٢٠.

(٢) نفسه، ص ١١٦.

(٣) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٣٠٧.

(٤) مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، ص ١١٩.

(٥) زيدان جورجي، تاريخ التمدن الإسلامي، ج٣، دار مكتبة حياة، بيروت، (د ط)،(د س)، ص ٣٦.

(٦) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ١١.

كما يعد السوق مكان يعج بالأشخاص فهو مكان مفتوح عن الخارج مليء بالأصوات ويظهر ذلك في قولها:" كانت الأصوات المختلطة القادمة من السوق تطرق مسامعه في حدة، وتخرجه بين الفينة والأخرى من تأملاته الهادئة المطمئنة كثيرا ما يترك العنان لنفسه وتأخذه قدماه في جولة عبر السوق العتيقة ، فيسرح بين الألوان والروائح والأشكال، يتأمل رسوم الزرابي و والمفروشات المصطبغة بشتى ألوان الطبيعة، ويتوقف أمام نقوش أواني الفخار التي تزدان بها جوانب الطرقات، وقد ينحني من حين إلى آخر ليقلب وردة من ورود الرمال الصخرية التي تختزل سحر المنطقة كلها، وتنطلق بإبداع الخالق الذي صور المكان وحسنه"(١).

ولهذا وصفت الساردة السوق بأحلى المناظر وأجملها.

يعد السوق مكان تلتقي فيه العديد من الأشخاص من كل الأماكن و يظهر في قولها: "من الطبيعي أن تري الكثير من الأشخاص في السوق"(٢).

كما تحدثت عن السوق الشعبية بقولها : "حثت الخطى في جزع باتجاه السوق الشعبية، يجب أن تقضي حاجتها وتعود بسرعة... كانت خائفة"(٣).

وأيضا صورت لنا حالة السوق في الحرب بقولها :"حيث وصلت إلى ساحة السوق، كانت وطأة المطر قد خفت وصارت الرؤية أوضح، لكن عربات الخضر والغلال كانت قد اختفت تلفتت حولها في جزع، كانت السوق خالية تقريباً..."(٤).

كما تحدثت عن سوق صيدا المركزية بقولها: "تدافع الخلف في سوق صيدا المركزية في لغط، وارتفع صراخ الباعة عبر الأزقة الضيقة ليختلط بأزيز العربات المتدافعة فوق الطريق المبلط وصوت الإذاعة المحلية الصادر عن بعض المحلات، اختلطت روائح التوابل المكومة في أكياسها القماشية الخشنة برائحة الأرض التي التصقت بقايا ترابها بخضروات

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبريّة ، ص ١١.
(٢) نفسه، ص١٢٠.
(٣) نفسه، ص ١٥٢.
(٤) نفسه، ص ١٥٤.

اقتلعت من منابتها منذ سويعات قليلة..."[١]. ولهذا فإن السوق من الأماكن المفتوحة عن الخارج وله من الجماليات فيه فيما يباع و يشترى.

ل_ المدينة:" هي مسكن الإنسان الطبيعي، أوجدها الناس لتكون في خدمتهم و على مستواهم، أوجدوها لتساعدهم في العيش وتطمئنهم وتحميهم من العالم المناوئ و في أنفسهم، وتختلف المدن على بعضها البعض، فلكل مدينة موقعها الجغرافي و تتميز كل مدينة بعاداتها و تقاليدها وتعد المدينة مكان مفتوح، وقد تعد مغلقة على نفسها"[٢].

في الرواية نجد مدينة جربة أنها:" مدت أشعة الشمس الساطعة خيوطها الذهبية في ذلك اليوم القائظ من أيام الصيف التونسي، لتداعب الواحات والقرى المتناثرة وتدفئ ثناياها إلى درجة الالتهاب، لم تكن جزيرة جربة تعانق أمواج البحر شواطئها الرملية بأحسن حالا من باقي المدن الجنوبية[٣]، فهنا وصفت لنا الساردة مدنية جربة وجمالها المميز.

كما وصفت لنا سوق المدينة بقولها :" أولا نذهب إلى السوق، لاقتناء بعض الأقمشة ثم نتوجه إلى المتاجر وسط المدينة... أنا و ندى نريد أن نتفرج على الفساتين الجديدة ومن ثم نمضي إلى محل المرطبات لاختيار الكعك و الحلويات ..."[٤].

أشارت كذلك إلى الحرب الثائرة في مدنية قانا وما خلفتها من ضحايا:" كانت المدينة تحظى بنوع من السلام منذ فترة، منذ مجزرة قانا الشهيرة"[٥].

تحدثت أيضا عن تونس" سارت ندى في شوارع الحارة الكبيرة بعقل سارح تعودت على هذه المدينة وأحبتها هذه هي المدينة التي ولدت فيها هنا التقي والدها بوالدتها، و هنا عاشت

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبريّة ، ص٣١٠.

(٢) مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينه، ص ٩٦.

(٣) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص١١.

(٤) نفسه، ص ١٧٨.

(٥) نفسه، ص ١٧٠.

سنواتها الأولى، قبل أن ترحل إلى لبنان..."[١] ثم رجعت إلى لبنان وهي تحكي على مدى حبها واشتياقها إليها بقولها:" وصلت اليوم إلى لبنان ياه، مرّ وقت طويل... لا تدري كم اشتقت لهذه الأرض..."[٢].

تحدثت أيضا عن وسط مدينة جرّبة بقولها:" دخلت ندى إلى البهو مبتسمة كانت أمسية طيبة أمضتها صحبة سماح، خرجتا في جولة وسط المدينة، ثم جلستا في مطعم شعبي و تحدثتا في شتي الأمور دون أن تتطرقا إلى الدين والعقيدة، كان الطعام طيبا والحديث ممتعا..."[٣].

وصفت لنا مدينة قانا في لبنان بقولها:" كانت الشمس قد مالت إلى الغروب، وإن لم يكن الظلام قد خيم تماماً، فاصطبغت سماء قانا بلون الشفق وعكست احمرارها على واجهات المباني"[٤].

وقد أعادت الإشارة إلى الحرب الثائرة في مدينة قانا بقولها:" ضحت الأيام المتعاقبة الساعات المظلمة من ذاكرة المدينة، ومسحت نعمة النسيان الألم عن ثناياها عادت المدينة إلى سالف عهدها[٥].

إذن فمجزرة قانا من أعنف المجازر التي أقيمت في لبنان، عام ١٩٩٦ والتي خلّفت العديد من الخسائر الكبيرة منها أطفال ونساء، فهي عملية عسكرية إسرائيلية خاضتها ضد لبنان.

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبريّة ، ص ٢٨٦.
(٢) نفسه، ص ٢٨٨.
(٣) نفسه ، ص٥٦.
(٤) نفسه ، ص٢٠.
(٥) نفسه، ص١٧٠.

كذلك تحدثت عن المدينة العتيقة بقولها: "أما جاكوب، فلبث في المكتب لبعض الوقت بعد، ثم قام من مكانه متثاقلا بعد أوصى المسؤولة عن خط الإنتاج بإقفال المعمل جيدا بعد مغادرة الفتيات... سار على غير هدى عبر طرقات المدينة العتيقة"(١).

كما أشارت الساردة إلى مدينة باريس والجمال الذي يضاهيها فهي مدينة الأنوار كما قالت:" سرحت طول الطريق وهي تتأمل المباني التي تحف جانبي الطريق في شرود لا مبال. إنها في مدينة الأنوار، كم حلمت بالسفر إليها منذ أن اختارت الدراسة الفرنسية في الجامعة"(٢).

كذلك المدينة تعج بالحركة في كل مكان ويظهر في قولها: "عبرت السيارة الطريق السريعة، ثم اقتربت من قلب المدينة حيث يشّتد الزحام وتتعطل حركة المرور"(٣). ولهذا فقد وصفت لنا الروائية مدينة باريس و جمالها المميز، وتحدثت ندى عن مدى إعجابها بهذه المدينة، والحركة الشديدة التي لا تتوقف فيها في كل وقت .

كما أشارت الساردة إلى فلسطين فهذه أرض المسلمين التي يحلم الإسرائيليين بها دائما وبسحبها وأخذها ويظهر ذلك في قول الساردة :" تفاقم العدوان في الأراضي الفلسطينية وتزايد القمع الإسرائيلي للمدنيين العزل"(٤).

فهذه البقعة المقدسة من الأرض جعل الاستعمار ينظر إليها بشكل دائم والسعي من أجل احتلالها ويظهر هذا في الرواية :"وفي داخل عائلة سونيا ، كانت مختلف هذه المواقف الممثلة، سونيا نفسها كانت من اليهود المتشردين الذي يطالبون بحقهم في القدس، أرض الأنبياء، ويطرد الفلسطينيين منها، ربما لم تكن تحمل نفس الحقد تجاه المسلمين في صباها عند معظم اليهود العرب، نشأت بين المسلمين وجاورتهم، وعائلتها تمسّكت بانتمائها إلى

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبريّة ، ص١٥٣.
(٢) نفسه، ص٢٠٨.
(٣) نفسه، ص ٢٠٧.
(٤) نفسه، ص٤١.

تونس ولم تفكر في الهجرة إلى فلسطين لتعمير المستوطنات الإسرائيلية"[١].

لهذا فقد تحدثت الساردة عن أرض الفلسطينيين وذكرت بأنها أرض الأنبياء، القدس وقد أكتفت الساردة فقط بإشارة إلى فلسطين دون وصفها وبغضها وحقدها عن العدو الصهيوني الذي يسعى إلى سلبها من الفلسطينيين واحتلالهم لهذه الأرض .

٢_ الأماكن الخاصة (المغلقة)

تعتبر الأماكن الخاصة من الأماكن التي لا تقل أهمية عن الأماكن المفتوحة، فهي تشكل عائقاً لدى الإنسان وتحدّ من حريته في انتقاله من مكان إلى آخر من خلال القيود والحواجز،" فهي أماكن تتصف بالمحدودية بحيث أن الفعل لا يتجاوز الإطار المحدد كالغرفة، ويجسد هذا المكان صورا مكانية متعددة مألوفة مثل: البيت، القرية، وتتميز هذه الصور بمميزات أهمها علاقات الألفة والدفء والأماكن،قد تكون مميزات سلبية معارضة"[٢].

"والمكان المغلق هو الذي يكتسي طابعًا خاصًا من خلال تفاعل الشخصية معه ومن خلال مقابلته بفضاء أكثر انفتاحًا واتساعًا. فالمكان له علاقة مباشرة بالفقدان والانفصال و اللاتوازن، فهو مرجع علامي ممتلئ دلالياً"[٣].

تنوع وتعدد المكان الخاص في الرواية نذكر منه:

أ_البيت:

يشكل البيت إحدى الأماكن المحدودة التي تفصله عن العالم الخارجي، ذلك لماله من أهمية في بناء الخطاب الروائي،" فالبيت هو ركننا في العالم، إنه كما قيل، كوننا الأول، كون حقيقي بكل للكلمة من معنى"[٤].

---

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبريّة ، ص ٤٢.

(٢) أحلام معمري، بنية الخطاب السردي في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،٢٠٠٣، ٢٠٠٤، ص ٤٢.

(٣) نفسه، ص ٧٧.

(٤) غاستون باشلا، جماليات المكان، ص ٣٦.

" والبيت هو جسد وروح، وهو عالم الإنسان الأول"(١).

ونجد في كتاب"**بنية الشكل الروائي**":أنه من الخطأ مثلاً النظر إلى البيت كركام من الجدران و الأثاث يمكن تطويقه بالوصف الموضوعي والانتهاء من أمره بالتركيز على مظهره الخارجي وصفاته الملموسة مباشرة، لأن هذه الرؤية ستنتهي، على الأرجح، إلى الإجهاز على الدلالة الكامنة فيه وتفرغه من كل محتوى"(٢).

ومن البيوت الموجودة في رواية في قلبي أنثى عبرية للروائية خولة حمدي نذكر منها:" البيت الذي آواها حين كانت في حاجة إلى عناية ورعاية"(٣).

ونجد أيضا في قولها" كان المنزل صغيرًا يكتنفه هدوء مريح، وقد أضفى عليه ذوق راشيل الراقي جمالاً شرقيا مميزا"(٤). فالبيت في هذه الحالة يظهر كأنه النبض الذي كانت تعيش فيه ريما قبل رحيلها،" كان البيت هادئا تماما"(٥)،ذلك دال على فراغه من أهله وعدم العيش فيه وهذا الأمر يجعل من الإنسان يعيش وحيدا بعيدا نفسيا واجتماعيا كأنه معزول عن العالم.

" فالبيت مغلق معظم الوقت... انتظر سأطلب من خالتي سعاد مصباحًا يدويًا، لا شك أنهم يحتفظون ببعضها هنا"(٦)ويدل البيت هنا عن الفراغ الذي يحسه الإنسان داخله.

" كان السكون يخيم على البيت في تلك الساعة المتأخرة من الليل..."(٧). لقد كان هذا البيت الذي آوت إليه ريما عند خروجها من منزل جاكوب الذي طلب رحيلها من المنزل، فوجدت

(١) غاستون باشلا، جماليات المكان ، ص ٣٨.

(٢) حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص ٤٣.

(٣) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٧٠.

(٤) نفسه، ص ٧٦.

(٥) نفسه، ص ٢٨.

(٦) نفسه، ص ٩٠.

(٧) نفسه، ص ٩٤.

هذا المنزل، وهو بيت أخته راشيل التي كانت بدون أطفال، فمثّل لها هذا المنزل كأنه الراحة والطمأنينة التي كانت تبحث عنها. ولكن في نفس الوقت كان بمثابة السجن الذي يسلط عليها أنواع التعذيب الجسدي والنفسي من طرف زوج راشيل، فأين ستذهب إن خرجت من المنزل الذي آواها.

" فالإحساس بالاضطهاد وانعدام الأمان يضاعفان من غربتها ويضعفان من مقاومتها"(١).

فقد يقترن" المكان المغلق بمعاني (الانطواء والعزلة والحزن أو حتى الكدر والاضطهاد"(٢).

لم تعرف طعم النوم الهادئ الذي كانت تنعم به في بيت جاكوب... فالذئب، كما أطلقت على زوج مضيفتها هذا الاسم _ لم يكتف بتنغيص أوقات نهارها حين يتواجد في المنزل بل صار يتسلل إلى أحلامها، ويفسد لياليها بالكوابيس المزعجة التي يلعب دور البطولة فيها..."(٣).

فهذا ما وجدناه عما عاشته ريما من ظلم وتعذيب واضطهاد في بيت راشيل، فهي كانت فتاة يتيمة الأبوين، وقد أمّنتها أمها عند جاكوب من قبل.

كما ترى الساردة في الرواية "أنها كانت في كل مرة تجد العذر المناسب لتبقى في المنزل"(٤).

ففي بعض الأحيان يحس الإنسان بوجود شيء يجعله يبقى لوحده لبعض الوقت يسترجع ذاكرته في ظل الظروف المتغيرة في ذاكرته و في الحياة.

" **فغاستون باشلار**" رأى بأن هنالك أطفال يتخلون عن اللعب لينصرفوا إلى زاوية في حُجرة

(١) صلاح الدين بان محمد حمدي، الفضاء في روايات عبد الله عيسى السلامة، ص ٢٠٢.

(٢) نفسه، ص ٢٠٢.

(٣) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ١٠٧.

(٤) نفسه، ص ٥٦.

السطح يمارسون ضجرهم فيها. لكم اشتاق إلى علية ضجري عندما تجعلني تعقيدات الحياة أفقد بذرة الحرية ذاتها"[١].

" فقد كان المنزل غارقًا في الظلام و السكينة حين دخل جاكوب"[٢].

" كما كان المكان منظمًا ونظيفا ولا أثر للحياة فيه"[٣].فهذا المكان كان هدوءه كهدوء المقابر التي لا حياة فيها فالإنسان هنا عندما يضيع يصبح خارج المحيط الذي يعيش فيه . " رحلت ريما...

كان الحزن يغلف قلبه وهو يخطو داخل المنزل الهادئ هدوء المقابر. لم تعد هناك حياة! فحياة البيت وروحه النابضة رحلت... رحلت وهو الذي أخذها بنفسه لينفيها إلى أرض بعيدة"[٤].

كما تضيف الساردة: " لم يعد في البيت الكثير من مظاهر الحياة"[٥].

يعد البيت مكانا للراحة والطمأنينة والهدوء النفسي والجسدي لدى الإنسان. فهذا الأخير" في حياة الإنسان ينحي عوامل المفاجأة ويخلق الاستمرارية. ولهذا فبدون البيت يصبح الإنسان كائنا مفتتا"[٦].

ب_الغرفة:

من الأماكن المغلقة، حيث شغلت هذه الأخيرة حيزا كبيرا في الرواية والتي نذكر منها:" وقفت ريما أمام غرفتها وهي تقاوم الدموع التي تجمّعت في مقلتيها منذرة بالهطول. وقفت تتأمل

(١) غاستون باشلار، جماليات المكان، ص ٤٥.

(٢) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٥٩.

(٣) نفسه، ص ٦٠.

(٤) نفسه، ص ٧١.

(٥) نفسه، ص ١٦٨.

(٦) إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، ص ٢٣٧.

أثاث الغرفة الذي ألِفته منذ سنوات طويلة، حتى حسبت أنها"غرفتها" فعلاً، وأن هذا هو عالمها الخاص. العالم الذي تستسلم فيه أحلامها وآمالها تمارس فيه حريتها... حرية الدين والمعتقد"(١).

فنجد هنا "**ياسين نصير**" في كتابه "**الرواية والمكان**" قد تحدث عن الغرفة بوصفها:" هي أكبر من كل حديث، وأوسع من كل تاريخ،لاشيء باستطاعته الكشف الكامل عن بنيتها الجمالية و البلاستيكية فهي من التنوع و الخصوبة ما يجعلها كل شيء بالنسبة للإنسان خارج الفضاء، الأرض، المتسع"(٢).

" كانت الغرفة في غاية الجمال و الترتيب"(٣). فقد كانت قد جهزتها راشيل عند بقاء ريما في بيتها لبضعة أيام، فهي لم تنعم بنعمة الأولاد فبقيت فيها:" انظري... نافذة الغرفة تطل على الحديقة... منظر خلاب في الربيع... أرجو أن تعجبك..."(٤)

كما قدمت لنا الساردة في هذه الرواية أيضا الغرفة باعتبارها مصدر للراحة والطمأنينة لأحمد الذي كان في المقاومة التي تتصدى للاحتلال الإسرائيلي أثناء الليل" تسلّل خفية إلى غرفته دون أن يشعر به أحد. كان يشعر بتعب شديد، اندس في فراشه يطلب النوم والراحة بعد ليلته المرهقة"(٥). ونجد كذلك الغرفة أيضا دلالة على الحزن والألم الذي خلفته ريما ورائها، فنجد هنا جاكوب يعيد الذكريات متأملاً غرفتها" كان يدخل إلى غرفتها كل يوم ليمكث فيها لبعض الوقت... فقد ظلت غرفتها، حتى بعد رحيلها، كان لديه أمل خفي بأن تعود إليها يومًا وإن طال الأمد! لكن هاهي حقيبتها قد عادت دونها. أخذ يجوب بعينيه

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٧٠.
(٢) ياسين نصير، الرواية والمكان، ص ٧٤.
(٣) خولة حمدي في قلبي أنثى عبرية، ص ٧٦.
(٤) نفسه، ص ٧٦.
(٥) نفسه، ص ١١٨.

أرجاء الغرفة مسترجع الذكريات السعيدة التي جمعته بها. ذكريات طفولتها الضائعة في غمار الألم، و يجتر الحزن الذي سكن في صدره منذ وصله نعيها...."[١].

وكذلك نجد الغرفة في الرواية" ألقت ندى نظرة وداع أخيرة على الغرفة الغالية التي ضّمتها في وقت ضياعها وتشردها، ثم أغلقت الباب خلفها"[٢].

فنجد ندى هنا قد اعتبرت هذه الغرفة كأنها الملجأ الذي حواها أيام تشردها وطردها من طرف أمها التي أعلنت ندى لها إسلامها فلا مكان لها في هذا البيت" تحاملت سونيا على نفسها، وجرت قدميها أمام الباب الموصد أدارت المقبض ودفعت الدفة ببطء، كانت الغرفة غارقة في الظلام، أغلقت نافذتها بنفسها وأسدلت الستائر منذ طردت ندى من المنزل"[٣].

كما نجد أيضا أن ندى قد عادت إلى منزلها بعد مرض أمها وعادت إلى غرفتها خاصةً التي ابتعدت عنها مدة طويلة "وقفت في مجلسها وسارت بخطوات وئيدة باتجاه غرفتها المظلمة"[٤].

" فتح عينيه وهو يلهث، حبات العرق تغطي وجهه وتغرق جسده الذي عاد به للتو، تلفت حوله في اضطراب، كان يتمدد على سريره في غرفته، لا يزال يتنفس بصعوبة. سالت الدموع على وجنتيه في مرارة وألم، تذكر كل شيء أصبحت الصورة واضحة في ذهنه الآن"[٥]. فالغرفة هنا عند أحمد كانت سبب في تذكّره كل شيء، ذلك أنه كان فاقد للذاكرة منذ أربع سنوات مضت فقد ساعدته الغرفة في ذلك على استرجاعها.

"عادت إلى بيتها إلى غرفتها، فتحت خزانتها حين تركت كل حاجياتها القديمة وقسماً كبيراً من ذكرياتها، كل شيء كان في مكانه، كما تركته. مكتبها، أوراقها، سريرها... كل شيء

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية ، ص ١٦٧.
(٢) نفسه، ص ٢٥٥.
(٣) نفسه، ص ٢٧٤.
(٤) نفسه، ص ٣٥٤.
(٥) نفسه، ص ٣٦٩.

كان في انتظار عودتها، مسحت الغبار المتراكم وأعادت الحياة إلى كل قطعة من ماضيها"[١].

في حين أن ندى قد لازمت غرفة ريما عند سفرها إلى تونس وهذا الأمر جعلها تعيش فيها كأنها غرفتها.

"أنا الآن في غرفة ريما! لم أتخيل أبداً أن أحط في هذا المكان حال قدومي إلى مسقط رأسي، أن أقضي ليلتي الأولى في غرفة أختي وحبيبتي التي قاسمتني سريري لمدة شهور، إحساس غريب بألفة غير متوقعة غمرني حالما وقعت عيناي على أشياء ريما القديمة التي لم تتحرك من مكانها"[٢].

فالغرفة إذن تظهر لنا جلياً من خلالها أنها مكان للراحة والهدوء والتفكير في ما هو كائن أو ما سيكون. كما أنها مثلت مكاناً للراحة من تعب ومشقة اليوم.

ج_ الصندوق:

يعد الصندوق من الأماكن الخاصة في الرواية، وذلك لماله من قيمة في نفس الإنسان وخاصة من خصوصياته.

" **فغاستون باشلار**" في كتابه "**جماليات المكان**" قال: "بأن العلبة تحتوي على أشياء لا تنسى؛ لا تنسى بالنسبة لنا، بالنسبة لمن سوف نمنحهم كنوزنا. هنا يتكثف الماضي والحاضر والمستقبل، فالعلبة هي ذكرى مالا تعيه الذاكرة من زمن"[٣]. فالساردة ذكرت الصندوق في الرواية وذلك في قولها" فتح صندوق البريد ودس يده في الفراغ المظلم ليسحب مجموعة الرسائل التي استقرت في قاعه"[٤]. فالصندوق هنا يعبر لنا عن حالة اتصال الناس ببعضهم البعض عندما يكون الأشخاص بعيدين عن بعضهم وكل شخص في مكان.

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية ، ص ٢٩١.

(٢) نفسه، ص ٢٦١، ٢٦٢.

(٣) غاستون باشلار، جماليات المكان، ص ٩٦.

(٤) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ١٤٦.

وتضيف الساردة في مقطع آخر" كما أنه لا أحد يهتم بتفقد صندوق البريد، فالعائلة لا تتلقى مرسلات هناك. ستكون الرسالة محفوظة، إلى أن يأتي صاحب المنزل"(١). فالصندوق هنا يحافظ على الأمانة إلى حين قدوم صاحب المنزل وتفقده إليه في يوم ما." لن يتفقد صندوق البريد بنفس اللهفة"(٢).

كما يأتي الصندوق بدلالة أخرى حين تقدمه لنا الساردة، فيحمل دلالة حزن وألم. فهو صندوق يحمل جسد إنسان إلى مأواه الأخير. جسد ميت لا يقدر على شيء، جسد ريما التي ماتت في تفجير في لبنان.

"ويقبل الصندوق الذي حواء أشلاء جسدها"(٣).

وتضيف أيضا" لكنه بكى طويلاً فوق الصندوق المغلق حتى جفت مآقيه. كان كل عائلتها، لكنه نبذها من عائلته. كان كافلها والوصي عليها، لكنه لم يكن بمستوى الأمانة، ولم يحافظ عليها"(٤).

" **فغاستون باشلار**" يرى بأن" الخزائن برفوفها، والمكاتب بأدراجها، والصناديق بقواعدها المزيفة، هي أدوات حقيقية لحياتنا النفسية الخفية. دون هذه (الأشياء) ومثيلاتها فإن الحياة تفقد نماذج الألفة، وهذه الأشياء تمتلك صفة الألفة مثلنا، وعبرنا، ولأجلنا"(٥).

د_ المستشفى:

لقد لعبت المستشفى دورا في بعث الراحة النفسية والجسدية للإنسان، فهي تعتبر مركز للتعافي من الأمراض، ونلاحظ في الرواية المستشفى حين تقول الساردة:" الطبيب يقول إن

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية ، ص ٢١٢.

(٢) نفسه، ص ١٦٧.

(٣) نفسه ، ص ١٦٧.

(٤) نفسه، ص ١٦٧.

(٥) غاستون باشلار، جماليات المكان، ص ٩١.

حالتها آخذة في الاستقرار. لكنها تحتاج إلى متابعة مستمرة، كان قد طلب بقاءها في المستشفى لأنها تقيم بمفردها ولا تجد من يهتم بها ويرعاها"[١].

إضافة إلى أن ندى بقيت وحدها بعد وفاة أبوها جورج الذي اعتبرته والدها وابنه مشال وزوجته وأولاده، فقد كتبت لأحمد" أكتب إليك الآن من المستشفى، والدتي نائمة تحت المخدر، تستيقظ لأوقات بسيطة في اليوم؛ لأن آلامها شديدة"[٢].

ونجد في مقطع آخر تحدثنا الكاتبة عن حالة ريما التي انتقلت على إثرها للعيادة، وذلك من خلال ما سُلط عليها من تعذيب ومحاولة للاعتداء عليها من طرف زوج راشيل أخت جاكوب" خرجت الطبيبة من قسم الفحوصات وفي عينيها نظرة استياء"[٣]. وتضيف" حالتها النفسية متعبة جدا... الطبيبة تقول إنها تعرَضت للضرب الشديد"[٤]. فالمستشفى مكان للراحة والشفاء من الأمراض النفسية والجسدية التي يتعرض لها الإنسان.

" انتبهت إلى أنبوب السائل المغذي الموصول بذراعها، فهتفت وإحساسها بالضياع لا يفارقها

_ أين أنا؟ ما الذي حصل؟

_ تنهد جورج وهو يجلس إلى جوارها على جانب السرير، وقال في حزن

_ أنت في المستشفى يا صغيرتي... حمد للرّب على سلامتك!"[٥].

كما نجدها تتحدث عن وفاة جورج وابنه مشال وزوجته وابنيه على إثر حادث سيارة: " ركبت الحافلة العمومية، ثم ركضت إلى المستشفى، لم تتوقف عن الدعاء والابتهال طوال الطريق،

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٢٨٩.

(٢) نفسه، ص ٢٨٨.

(٣) نفسه، ص ٩٥.

(٤) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٩٦.

(٥) نفسه، ص ١٦١.

حين وصلت إلى قسم الطوارئ، رأت دانيا وسونيا قد انهارتا على المقاعد، وقد بدا عليهما الاستسلام"[١].

هـ_السجن:

من الأماكن المغلقة، حيث يظهر السجن في الرواية أثناء الإفراج عن الذين اعتقلوا من طرف الاحتلال الإسرائيلي في لبنان، ونجد أن أحمد يبحث عن صديقه حسان الذي كان ضمن المعتقلين المحتجزين آنذاك، والمفرجين عنهم في ذلك الوقت" لكنه كان مصمم على إيجاد صديقه ورفيق عمره... لاشك أنه هنا في هذه الساحة، بين المعتقلين الذين تم الإفراج عنهم بعد تحطيم أبواب المعتقل"[٢].

وتضيف الكاتبة" كان يسير على غير وجهة، يحاول إيجاد طريقة إلى بوابة السجن الرئيسية"[٣]." وصلت إلى معتقل الخيام صبيحة يوم التحرير، كنت أبحث عنك في كل

مكان... أسأل عنك كل الوجوه. توقفت أمام تلك المجموعة في باحة السجن"[٤].

وعودة حسان من السجن التي أفرحت الجميع" أردت أيضا أن أبشركم بعودة حسان! وصلت في نفس الشاحنة اليوم، كان ضمن الأسرى المحررين في معتقل الخيام"[٥].

ونجد أن حسان أيضا عندما كان معتقل في السجن:" كان يحمل صورة تضمه هو وأحمد صديقه وأصدقائه الآخرين، لكي تؤنسه في غربته في السجن داخل الزنزانة لم تكن معي صورة غيرها تُبدد عني وحشة السجن"[٦].

---

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية ، ص ٢٤١.

(٢) نفسه، ص ٣٦٥.

(٣) نفسه، ص ٣٦٥.

(٤) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٣٧٦.

(٥) نفسه، ص ٢٠١.

(٦) نفسه، ص ٣٧٥.

وأضاف أيضا" وجدت أحد المساجين الذين يشاركونني الزنزانة يقترب مني ومعه الصورة... رغم التشويه الذي وقع بها... لم أفكر حينها بالجزء الناقص منها، حسبته ذهب إلى القمامة..."(١).

وفي الأخير نستطيع أن نقول بأن الأماكن الخاصة قد لعبت دورا بارزا في الرواية. فوجدنا أن المكان المغلق أما أنه يحدّ من دور الشخصية فيه أو أنه يجعلها متحررة، كما أنه مكان للراحة النفسية والجسدية.

ثانيا: المكان وعلاقته بالعناصر السردية في الرواية

١_ المكان و الشخصية:

يعد المكان أكثر التصاقا وارتباطا بالحياة الإنسانية، لما بينهما من علاقة تأثير تأثر."فالمكان بالرغم من أهميته بالنسبة للرواية، إلا أنه لا يتبلور ولا يتشكل إلا من خلال الشخصيات التي تشغله وتصنع الأحداث وتكشف عن أثر المكان بها وأثرها في هذا المكان"(٢).

كما أن علاقة المكان بالشخصية:" إما أن تكون علاقة تشعر فيها الذات بالانتماء أو علاقة تشعر فيها الذات بالنفور والرفض. فعلاقة الانتماء التي تشعر فيها الذات بالانتماء للمكان الذي تتحرك فيه،وهي أماكن الإقامة الاختيارية والتي تختار الذات الإقامة بداخلها، أما علاقة النفور تلك العلاقة التي تبدوا فيها الذات نافرة عن المكان، ويتجلى في هذه العلاقة الانسلاخ عن المكان فكرياً ونفسيا"(٣).

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية ، ص ٣٧٥.

(٢) مهدي عبيد، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، ص ١٨٨.

(٣) الشخصية بين التنافر والترابط ، alwatn .com

" ويمكن وصف المكان في علاقته بالشخصية بأنها ليست طارئة وهامشية، وإنما هي في الصميم، حيث المكان مؤهل للكشف عن لاوعي الشخصية ومشاعرها النفسية، ومواقفها الاجتماعية، لأنه ببساطة لا معنى، ولا دلالة للمكان بعيداً عن الإنسان"(١).

ومن العلاقات الموجودة في الرواية نذكر:

أ)_ علاقة الانتماء:

ونقصد بها وجود علاقة وطيدة بين الشخصية والمكان الذي تنتمي إليه ومن الأمثلة الموجودة في الرواية نذكر:" ألقت نظرة على حقيبتها الصغيرة التي جمعت فيها بعض حاجاتها الضرورية، والكثير من الذكريات.إنها ساعة الرحيل، ستفارق الغرفة التي عاشت فيها منذ نعومة أظافرها ، والبيت الذي آواها حين كانت في حاجة إلى عناية ورعاية"(٢).

فنجد أن ريما رغم رحيلها إلا أنها قد وجدت في هذا البيت الراحة والطمأنينة التي لم تجدها قبل ذلك.

كما نجد أيضا أن المكان يبعث الراحة في النفس عندما أحست ندى بالغربة عند سفرها ومكوثها في غرفة ريما التي كانت تعرفت عليها وأصبحت صديقتها في لبنان" تتراء لي صورة ريما الآن بنفس الوضوح، رغم مرور كل ذلك الوقت. أتخيلها الآن في فضاء هذه الغرفة أكاد أراها رأى العين تتحرك بنفس الحيوية والعفوية لطالما راقبتٌ الحياة من خلالها، لكن ذلك لم يحرمني الانغماس في حياة كثيفة المشاعر والأحداث الآن،رحلت ريما... ولم تعد الحياة التي كنت أراقبها سوى ذكريات"(٣).

ب)_ علاقة الحياد(الانسلاخ عن المكان):

(١) مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، ص ٢٢٣.

(٢) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٧٠.

(٣) نفسه، ص ٢٦٢.

ونقصد بها علاقة نفور الشخصية من المكان، وعدم انسجامها معه في المكان الذي تتواجد فيه. ومن أمثلة هذه العلاقة التي نجدها في الرواية:" لم تكن شديدة الحماس للدراسة التي تنتظرها في فرنسا، لكنها تشبثت بحل الهرب، فلتذهب لتجتر أحزانها بعيدا، لم تجد أدنى اعتراض من والدتها على السفر،فهي الأخرى أيّدت فكرة ابتعادها عن كل ما يذكرها بأحمد، عسى أن تستعيد توازنها وتحذفه من ذاكرتها نهائيا، لم تقتن الكثير من المشتريات... لم تجد المتعة لتقوم بالتّسوق، اكتفت بحاجياتها القديمة... وإن كانت تحمل في طياتها الكثير من الذكريات"(١).

لقد لجأت ندى إلى فرنسا، المكان الذي وجدت فيه ضالتها لإفراغ حزنها، فوجدته مكان للهروب من قلقها ومن الآلام التي عاشتها، رغم أنها كانت منفرة من هذا المكان. فهي كانت شديدة التشبث بوطنها وبعائلتها وبذكرياتها الجميلة التي عاشتها هناك.

٢_ المكان والزمن:

إن المكان ذو أهمية كبيرة في الرواية، فهو يتضمن معاني عديدة في العمل الروائي، بحيث يدخل في علاقات مع كل العناصر السردية وخاصة الزمن الذي يعدُّ "زمن القراءة السردية الذي تجري فيه الأحداث مختزلة. وبهذا فهي تقطع الزمن عن زمنيته وتمسكه عن أن يستمر"(٢).

فعند الحديث عن المكان:" فإننا نتحدث عن زمانه ولذلك يُعّدُّ الزمان أحد أبعاد المكان"(٣). فنعتبر هنا أن المكان لا يستطيع أن يستغني عن الزمان، لمالهما من علاقة ضرورية في حياة الإنسان.

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية ، ص ٢٠٦.

(٢) محمد عزام، فضاء النص الروائي، ص ١٢٢.

(٣) مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنا مينا، ص ٢٢٥.

فنجد في الرواية استرجاع زمني داخلي حينما سافرت ندى إلى تونس وبقائها في نفس غرفة ريما التي عاشت معها لمدة،" لم أتخيل أبداً أن أحطّ في هذا المكان حال قدومي إلى مسقط رأسي، أن أقضي ليلتي الأولى في غرفة أختي وحبيبتي التي قاسمتني سريري لمدة شهور... ريما... أذكرها كما لو أنني لقيتها بالأمس، لطالما راقبتها سراً وهي تلعب في الحديقة، قبل اختفاء راشيل، ثم وهي تكد في عمل البيت كسندريلا صغيرة "[١]. كما نجد أيضا استرجاع خارجي عندما أحضر حسان آلة تصوير في سنوات ماضيه وهم في المنزل الريفي، فنجده في هذا المقطع يتذكر حسان هذا الحدث ويقصه على صديقه أحمد الذي حصل بينهما عداوة،"هل تذكر... منذ أكثر من ست سنوات، دعتني عائلتك لقضاء أمسية في المنزل الريفي الذي تمتلكه، كان أيهم أيضا حاضرا حينذاك... فكرت حينها في تخليد صداقتنا التي ظننتها فوق العادية..."[٢].

فالمكان هنا قد ارتبط بالزمان من حيث الاسترجاع الداخلي والخارجي في الرواية، ومنه نعتبر أنه لا يمكن أن نرجع لحظة من لحظات الحياة إلا ونضعها في سياقها ألزماني ومكانها المحدد الذي تتطلبه.

٣_ المكان و الوصف:

" إن علاقة المكان بالوصف نجدها في الروايات تأتي متقطعة، ولسنا في حاجة للتذكير بأن ضوابط المكان في الروايات متصلة عادة بلحظات الوصف، وهي لحظات متقطعة تتناوب في الظهور مع السرد أو مقاطع الحوار"[٣].

في حين يبدو واضحاً،" أن الروايات الواقعية خاصة كانت تستخدم وصف المكان لتأخير الأحداث، وربطها بالعصر والمستوى الاجتماعي حيث يصبح وصف الأمكنة المختلفة دالاً

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٢٦١، ٢٦٢.

(٢) نفسه، ص ٣٧٥.

(٣) حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص ٦٢، ٦٣.

على تعارض أنماط الحياة واختلافها"[١]. كما نجد أيضا،" أن الوصف أخذ أدواراً شتى داخل فضاءات الخطاب الروائي الجديد، أسهمت كلها في جعل النص الروائي ينتج بنفسه وانطلاقاً من نصّيته نفسها ما يحدده، ومن بين هذه الأدوار فسح المجال لتدخل اللغات الواصفة وهذا بتعقيد البناء الدلالي للنص في ذهن القارئ، أو اللجوء إلى خرق كل إيهام مرجعي، فيصبح للنص مرجعيته الخاصة التي لا تعطي سلفا، بل تنتج عن القراءة ذاتها، وتبنى عبر العلاقات الحوارية المتبادلة بين النص والقارئ"[٢].

في حين نجد" **بلزاك**"،" يعير وصف المكان اهتماماً خاصاً حيث أن المكان الذي يسكنه الشخص مرآة لطباعه، فالمكان يعكس حقيقة الشخصية ومن جانب آخر، إن حياة الشخصية تُفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها"[٣].

" فوصف المكان عنده له وظيفة واضحة"[٤].

" لم يكن بوسع ندى أن تُفيدها بشأن ذلك، فقد كانت المرة الأولى التي تدخل فيها إلى الجامع هي الأخرى... لكن أنابيلا شدّتها معها لتجد نفسها أمام الباب المفتوح على مصراعيه والمؤدي إلى قاعة كبيرة مفروشة بالزرابي، وتتدلى من سقفها الثُّريات الضخمة ذات الأشكال الجّذابة. كان هناك عدد قليل من الزوايا بالداخل، وبدا أن الصلاة لم تبدأ بعد، فلم تتردا في الدخول، وهما تتأملان تنسيق المكان وديكوره المميَز"[٥]. فهي كانت المرة الأولى التي تذهب فيها ندى وأنابيلا إلى المسجد فهما ليستا مسلمتين، وهذا الوصف كان كافياً لزيارته لأول مرة، فهو يعتبر نابع من الأبعاد النفسية لدى الشخصية الروائية وكذا الأبعاد الاجتماعية. وكذلك نجد ندى تصف القاعة الموجودة في متحف اللوفر الشهير في فتور عند زيارتها له.

(١) حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص ٧٠.

(٢) أحلام معمري، الخطاب السردي في رواية" فوضى الحواس" لأحلام مستغانمي، ص ٣٠.

(٣) سيزا قاسم، بناء الرواية، ص ١١٨، ١١٩.

(٤) نفسه، ص ١١٦.

(٥) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، ص ٢١٥.

فهي لم تكن تستهوي المتاحف كثيرا فقد ذكّرتها بصورة قديمة،" قادتها قدماها باتجاه الممر على يسار القاعة الذي يُفضي إلى درج عريض، يؤدي بدوره إلى قاعة سفلية متّصلة بالقاعة لأولى، نزلت الدرجات على مهل وقد نسيت أنابيلا تقريبا، تبعت تيار الوافدين في استسلام، وهناك في الأسفل،استوقفتها مجموعة من التوابيت الخشبية المرصوفة خلف زجاج سميك، بزخرفتها الدقيقة الملونة. كانت تعدّ لحماية المومياوات الفرعونية. في أقصى القاعة كان هناك صندوق زجاجي آخر تبدي خلفه مومياء مستلقية علة ظهرها،وقد شبكت ذراعيها فوق صدرها، اتجهت نحوها في اهتمام، وهي تعتصر ذاكرتها محاولة استعادة صورة قديمة"[1]. وفي الأخير نستطيع أن نقول بأن المكان قد لعب دوراً بارزاً من حيث الأماكن الخاصة و العامة ،وفي علاقته بالعناصر السردية الأخرى، ذلك أنه جزء منها و عنصرا مؤثرا يحمل دلالات متعددة .

(١) خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية ، ص ٢١٩.

ملحق

١_التعريف بكاتبة الرواية خولة حمدي

كاتبة تونسية من مواليد ١٩٨٤ بتونس العاصمة، أستاذة جامعية في تقنية المعلومات بجامعة الملك سعود بالرياض متحصّلة على شهادة في الهندسة الصناعية و الماجستير من مدرسة "المناجم" في مدينة سانت إتيان الفرنسية سنة ٢٠٠٨. متحصّلة على الدكتوراه في بحوث العمليات (أحد فروع الرياضيات التطبيقية) من جامعة التكنولوجيا بمدينة تروا بفرنسا سنة ٢٠١١، وكانت أولى رواياتها هي أين المفر ثم بعد ذلك صدور الرواية الثانية لها سنة ٢٠١٢ تحمل عنوان " في قلبي أنثى عبرية ".

- **مؤلفاتها**

في قلبي أنثى عبرية ٢٠١٢

غربة ياسمين ٢٠١٥

إن تبقى٢٠١٦

أحلام الشباب (نسخة غير رسمية)

٢_ملخص الرواية

رواية في قلبي أنثى عبرية من تأليف الكاتبة التونسية خولة حمدي تسرد فيها كيف تعرفت على بطلة القصة ندى، التي كانت تحكي قصتها على إحدى المواقع الإلكترونية واستطاعت التواصل معها لمعرفة المزيد من التفاصيل وتعرفت الكاتبة من خلال قصة الحب التي نشأت بين بطلة القصة وأحد أبطال المقاومة في ذلك الحين على مجتمع ما يسمى بيهود العرب والمقاومة في لبنان .

تدور أحداث رواية " في قلبي أنثى عبرية " في منطقتين الأولى جزيرة جربة في تونس والثانية مدينة قانا العتيقة في جنوب لبنان، ففي حارة اليهود في الجنوب التونسي تدور أحداث الرواية حول ريما الطفلة المسلمة اليتيمة التي تربت بين أحضان عائلة العم جاكوب اليهودية، والتي تبدأ أفكارها تتغير وترتدي الحجاب، وتغضب منها زوجة العم جاكوب

وتطالب بإبعادها عن أطفالها حتى لا يتأثروا بأفكارها حول الديانة اليهودية والإسلام، فيرسلها إلى منزل أخته في لبنان.

ونظرا للمعاملة السيئة التي تلقتها ريما في منزل راشيل من قبل زوجها، فأخذتها راشيل إلى منزل ندى بطلة الرواية.

وفي الجنوب اللبناني تتناول الرواية حياة ندى، وهي الأنثى العبرية المعنونة باسمها الرواية، والتي تنتمي للدين اليهودي إتباعاً لوالدتها رغم أن والدها مسلم، ورغم أنها تربت في بيت مسيحي حيث كانت ديانة زوج والدتها.

وتتغير حياة ندى رأسا على عقب بعد أن تقابل أحمد الشاب المسلم الذي ينتمي لصفوف المقاومة في لبنان ضد الاحتلال الإسرائيلي.

يخطب أحمد المسلم ندى اليهودية بعد قصة حب وسط رفض من العائلتين اللتان خضعتا في نهاية الأمر لأولادهم. وفي نية أحمد أن يجعلها تعتنق الدين الإسلامي. وبالفعل نجح في ذلك بمعاونة الطفلة ريما والتي تستشهد على إحدى غارات قصف الطائرات اليهودية. ثم يختفي أحمد مع وفاة ريما وجلاء الاحتلال الإسرائيلي من جنوب لبنان، ليؤثر ذلك بالسلب على ندى التي تهرب من آلامها إلى فرنسا لتكمل دراستها. ثم تعود منها بعد رحلة طويلة من الشك والبحث والدراسات والمقارنات بين الديانتين، ولكن بعد عودتها من فرنسا أعلنت ندى إسلامها. مما جعل والدتها تعاملها معاملة سيئة نتيجة لاعتناقها الإسلام، ليظهر أحمد بعد غياب أربع سنوات ولكنه فاقد الذاكرة. ويجد ندى مخطوبة لصديقه حسان الذي يضحي فيما بعد ذلك بحبه لندى ليتزوجها حبيبها أحمد الذي استرجع ذاكرته فيما بعد.

خاتمة

بعد جهد من البحث والرحلة الشيقة التي قضيناها برفقة هذه الدراسة في رواية في قلبي أنثى عبرية للكاتبة التونسية خولة حمدي، رصدنا مجموعة من النتائج التي توصلنا إليها في انجاز هذا البحث والتي كانت كالآتي:

_ تعددت وتنوعت مفاهيم المكان الروائي، فقد اختلفت وتداخلت فيما بينها، حيث اقترنت بتسميات أخرى كمصطلح الفضاء والحيز.

_ نجد أن أسلوب الكاتبة في الرواية قد تميز بالبساطة والدقة في المعاني وسهلة من حيث الألفاظ.

_ والروائية خولة حمدي معاصرة تنتمي إلى الجيل الجديد والتي تدعو في روايتها إلى التعايش بين الدين الإسلامي والمسيحي.

_ كما أن المكان في الرواية قد اكتسب أهمية كبيرة باعتباره فضاءً واسعا لحركة الحدث والشخصيات.

_ يعتبر مكان البيت الأكثر جمالية وذلك أنه وصف بدقة مما جعله معلوما ومعروفا لدى القارئ ولدى الشخصية الحكائية .

_ ارتبطت الشخصية بالأماكن ارتباطا وثيقا لأنها تمثل العنصر الفاعل داخل الرواية، وهي التي تحرك فيه الأحداث، فالمكان ليس الإطار الذي تجري فيه الأحداث فقط، فهو عامل لجملة من الأفكار والقيم الاجتماعية والثقافية.

_ وكان للكاتبة حضور في الأماكن المفتوحة أكثر من الأماكن المغلقة.

_ اهتمت الرواية على عنصر الزمان، حيث اعتمدت على كل من الاسترجاع الداخلي، الذي يعود ذلك في بداية الراوية، والاسترجاع الخارجي والتي تعود فيه الروائية لاستذكار الأحداث التي وقعت خارج الرواية، وما ستؤول إليه الأحداث داخل المكان الروائي.

_ كما تبلور المكان في السرد الروائي من خلال حركة الشخصية واقترانها بها، فجاء مفسرا لسلوكها وعاكسا لطبيعتها.

وفي الأخير كانت هذه أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث،ونرجو أننا وفقنا ولو قليلا في إبراز جمالية المكان في رواية" في قلبي أنثى عبرية ،" فقد كانت رحلتنا قصيرة وجاهدة في هذه الدراسة، فإن وفقنا فمن الله عز وجل وإن أخطأنا فمنا ومن الشيطان.

قائمة المصادر و المراجع

***القرآن الكريم**

أولا: المصادر:

١- خولة حمدي، في قلبي أنثى عبرية، دار كيان، مصر،(د. ط)،٢٠١٣.

ثانيا: المراجع:

١- إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا،تموز (طباعة، نشر، توزيع)، دمشق، (د ط)،٢٠١٣.

٢- أحمد مرشد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، ط ١، ٢٠٠٥.

٣- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي(الفضاء- الزمن- الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط٢، ١٩٩٠.

٤- حسن نجمي، شعرية الفضاء(المتخيل والهوية في الرواية العربية) المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٠.

٥- حمادة تركي زعيتر، جماليات المكان في الشعر العباسي، دار الرضوان، عمان، ط١، ٢٠١٣.

٦- حميد لحمداني، بنية النص السردي(من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩١.

٧- رشيد التركي، الجماليات وسؤال المعنى، تر: إبراهيم العميري، دار المتوسطة، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

٨- زيدان جرجي، تاريخ التمدن الاسلامي، ج٣،دار مكتبة حياة، بيروت، (د.ط)،(د.س).

٩- سعيد يقطين، قال الراوي(البنيات الحكائية في السيرة الشعبية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط١، ١٩٩٧.

١٠- سمر روحي الفيصل، الرواية العربية، البناء والرؤيا مقاربات نقدية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د ط)، ٢٠٠٣.

١١- سيزا قاسم، بناء دراسة مقارنة في (ثلاثية) نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة، (د.ط)،٢٠٠٤.

١٢- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، إشراف أحمد مشاري العدواني، الكويت، (د .ط)، ١٩٩٨.

١٣- غاستون باشلار، جماليات المكان، تر: غالب هلسا،المؤسسة الجامعية لنشر و التوزيع، بيروت، ط٢، ١٩٨٤.

١٤- محبوبة محمدي أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حورانية،الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، (د. ط)، ٢٠١١.

١٥- محمد عزام، شعرية الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،(د ط)، ٢٠٠٥.

١٦- محمد عزام، فضاء النص الروائي، مقارنة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان، دار الحوار للنشر والتوزيع،سورية، ط ١، ١٩٩٦.

ثالثا: المعاجم و القواميس:

١_ أحمد بن محمد بن علي الفيتومي المقري، المصباح المنير معجم عربي –عربي ،مكتبة لبنان،بيروت،(د.ط)،١٩٨٧.٢

٢_ أيوب بن موسى الحسيني،معجم في المصطلحات والفروق اللغوية،تر:عدنان درويش و محمد المصري،وزارة الثقافة ، دمشق،(د. ط)، ١٩٨، ج٢.

٣_ عمر أحمد المختار، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب (نشر، توزيع، طباعة)، القاهرة، ط١،المجلد٣، ٢٠٠٨.

٤_ ابن فارس، ابن أحمد، مقاييس اللغة،الجزء الرابع، تحقيق وضبط:عبد السلام محمد هارون ،دار الفكر للنشر والتوزيع والطباعة، بيروت، ط١، ١٩٩١.

٥_ ابن منظور، لسان العرب، الجزء السابع، ط١، ١٣٠١هـ.

٦_ ابن منظور، لسان العرب،دار صادر، بيروت، (د ط)،(د ت)، المجلد١٥، مادة

٧- ابو الفضل جمال الدين بن مكرم ابن منظور،لسان العرب، مادة (م.ك.ن)، دار صادر بيروت،١٩٩٠، مج١٣.

٨- مجد الدين الفيروزآبادي، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة ،مادة (كون)،ج٤، ١٩٩٩.

٩- مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، القاموس المحيط، إشراف محمد نعيم العرقسوسي، تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،، بيروت،لبنان،ط٨ ، ٢٠٠٥.

١٠- محب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي، تاج العروس من جواهر القاموس، الجزء الرابع، (د ط)، (د ب)، ١٨٨٥.

رابعا: المجلات:

١_ جميل علي السورجي، مفهوم الجمال في الفكر الإسلامي، مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية، (د.ب)، العدد٢٠، ٢٠١٢.

٢- زهير عباس عزيز القريشي، دور مسجد الكوفة في تنمية السياحة الدينية في مدينة الكوفة المقدسة، مجلة الإدارة والاقتصاد، العدد ٩٩، ٢٠١٤.

٣- زوزو نصيرة، إشكالية الفضاء والمكان في الخطاب النقدي العربي المعاصر، جامعة محمد خيضر بسكرة (الجزائر) ٢٠١٠، قسم الأدب العربي،مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد السادس.

٤- سفيان المتنبي، فاعلية المكان في الصورة الشعرية، مجلة ديالى، العدد ٤٠، إبراهيم جنداري، الفضاء الروائي في أدب جبرا إبراهيم جبرا، تموز (طباعة، نشر، توزيع)، دمشق، (د. ط)،٢٠١٣.

٥- السيد محمد مرتضي الزبيدي: تاج العروس، دار الصادر، بيروت،(د. ط)، ١٩٨٤.

٦- صلاح الدين بان محمد حمدي، الفضاء في روايات عبد الله عيسى السلامة، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسية، العدد١، المجلد١١، ٢٠١١.

٧- محمد علي البنداق، الفضاء المكاني في رواية حقول الرماد(المواصفات، المكونات، الوظائف)، الزاوية، جامعة الزاوية، كلية الآداب، مجلة الجامعة، العدد الخامس عشر، المجلد الثالث،٢٠١٣.

٨- محمد علي خوري، مدخل في نظرية الجمال في النقد العربي القديم، مجلة القسم العربي، باكستان، العدد ٢٠١١.

خامسا: موسوعات:

١_ رف.جونسن، الجمالية موسوعة المصطلح النقدي، تر: عبد الواحد لؤلؤة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ١٩٨٣.

٢- صادق صبيح،الموسوعة الصغيرة الرواية والمكان(ياسين النصير)، دار الشؤون الثقافة العامة، بغداد، ١٩٨٦.

٣- عبد الرحمان بدوي، موسوعة الفلسفة ، لمؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت،ط١، ج٢، ١٩٨٤.

سادسا: الرسائل الجامعية:

١_ أحلام معمري، بنية الخطاب السردي في رواية فوضى الحواس لأحلام مستغانمي، مذكرة ماجستير، جامعة ورقلة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،٢٠٠٣، ٢٠٠٤.

٢- جميلة العلوي ، واقع الأحياء المتخلفة لمجتمع مدينة سطيف،مذكرة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية،٢٠٠٦/٢٠٠٧

٣- سعاد مشلق، جماليات المكان في رواية "رحمة" ل: نجاة مزهود، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية، تحت إشراف: رضا معرف، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ٢٠١٥/٢٠١٦م.

٤- فيروز جدي، وفاء حطابي، البنية السرية في رواية طوق الياسمين(رسائل في الشوق والصبابة والعشق المستحيل) للروائي واسيني الأعرج، مذكرة مكلمة لنيل شهادة الماستر في

اللغة والأدب العربي، تحت إشراف: رشيد وقاص، كلية الآداب واللغات، جامعة العربي التبسي، تبسة، ٢٠١٦/٢٠١٧.

مواقع الالكترونية:

١- الشخصية بين التنافر والترابط ,Alwatn. com

٢- فريد الأنصاري:مفهوم الجمالية بين الإسلام و الفلسفة الغربية

new.knowingallah.com. 11/07/2018.

فهرس الموضوعات

مقدمة أ-ب-ج

تمهيد : معنى الجمال والجمالية..... ٥-٧

الفصل النظري: المكان وإشكاليّة المصطلح

أولا: ماهية المكان وتعدد دلالاته..... ٠٩-٢٢

١_ المكان..... ٠٩-١٦

٢_ الفضاء..... ١٦-٢٠

٣_ الحيز..... ٢١-٢٢

ثانيا:أنواع المكان وأهميته في السرد الروائي..... ٢٢-٢٦

١_ أنواع المكان..... ٢٢-٢٤

٢_ أهمية المكان الروائي..... ٢٤_٢٦

الفصل التطبيقي: البعد الجمالي للمكان وعلاقته بعناصر السرد في الرواية

أولا: أنواع الأماكن في الرواية..... ٢٨-٥٤

١_ الأماكن العامة(المفتوحة)..... ٢٨-٤٤

٢_ الأماكن الخاصة(المغلقة)..... ٤٤-٥٤

ثانيا: المكان وعلاقته بالعناصر السردية في الرواية..... ٥٤-٥٩

١_ المكان والشخصية..... ٥٤-٥٦

٢_ المكان والزمن..... ٥٦-٥٧

٣_ المكان والوصف..... ٥٧-٥٩

ملحق..... ٦١-٦٢

التعريف بكاتبة الرواية خولة حمدي ٦١

ملخص الرواية..... ٦١-٦٢

خاتمة ٦٤-٦٥

قائمة المصادر و المراجع..... ٦٧-٧١

فهرس الموضوعات..... ٧٣_٧٤

ملخص البحث:

ـ يعتبر عنصر المكان من العناصر السردية، التي تقوم عليها الرواية، ذلك لماله من أهمية ودلالة خاصة، وكونه مبحثا نقديا ومكونا ضروريا في تشكيل المتن الروائي.

ـ فقد حاولنا في دراستنا لجماليات المكان السردي في رواية " في قلبي أنثى عبريّة لخولة حمدي"، والتي تميزت فيها بتناول مواضيع ناقشت فيها قضايا(الدين والحب والمقاومة)، الكشف عن الأبعاد الجمالية للأمكنة في الرواية، وطبيعة العلاقة الرابطة بين المكان ومكونات السرد الأخرى، وقد اتبعنا في ذلك على خطة وكانت تضم: مقدمة، وتمهيد، وفصل نظري وآخر تطبيقي، بالإضافة إلى ملحق، وخاتمة تضم أهم النتائج التي تحصلنا عليها، معتمدين على المنهج الوصفي التحليلي، ومجموعة من المصادر والمراجع، التي اعتمدنا عليها في انجاز هذا البحث.

الكلمات المفتاحية

المكان، الفضاء، الحيز، الجمال والجمالية، رواية في قلبي أنثى عبريّة للكاتبة التونسية خولة حمدي.

Summary of the research:

The place element of the narrative elements, on which the novel, that the importance of its importance and special significance, and that it is critical and necessary component in the composition of the novel. In our study of the aesthetics of the narrative place, we tried to describe the aesthetic dimensions of the places in the novel, the nature of the relationship between the place and the components of the other narrative, We have followed a plan that includes: introduction, preface, theoretical and applied chapter, supplement, and conclusion of the most important results we have obtained, based on the descriptive analytical approach, and a set of sources and references, which we .relied upon in completing this research

key words

Place, space, space, beauty and beauty, novel in my heart female Hebrew .Tunisian writer Khawla Hamdi

تمت بحمد الله